15 em Année No. 744

Lundi — 6 — 10 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — بابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٤٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢١ ذى القعدة سنة ١٣٦٦ — ٦ أكتوبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

الهيضة بالهيضة تذكر :

من ذكريات الطفـــولة

كنت فى الثالثة عشرة من عمرى حين وفد على مصر وباء الهيضة فى سنة ١٩٠٢ ، وكانت قريتنا الصغيرة الفقيرة تنقل خُطاها الوئيدة فى طريق الحياة وادعة بالأمن ، ناعمة بالرضا ، هانئة بالقناعة .

كان المرض قليلا ما يغشاها ، فإذا غشيها غشى الكهل الضعيف . وكان الموت كثيراً ما ينساها ، فإذا ذكرها ذكر الشيخ الهرم . لذلك كان المرض لندرته مرهوب الإسم ، وكان الموت لوحشته مهيب الصورة . فإذا مرض الصحيح تجمع القوم فى منظرته أو على مصطبته ، يؤانسونه ويمرضونه ويدعون له ؛ وإذا مات المريض لبسوا الحداد عليه العام كله ، فلا يلبسون الجديد ، ولا يحلقون اللحى ، ولا يأكلون الفسيخ ، ولا يصنعون الكعك ، ولا يباشرون المضاجع .

وفى ذات ليلة من ليالى الصيف على ما أذكر ، قيل إن لأسرة فلان قريباً غريباً علموا أنه مريض فذهبوا ليعودوه فعادوا به . وهو يشكو مرضاً لم يشكه أحد من قبل : ظمأ لا ينقعه ماء ، وقىء لا يمنعه دواء ، وإسهال لا يقطعه شىء . وفى الصباح الباكر نعته الناعيات فأجمت القرية على الحزن عليه ، وأقبلت الجيرة على العزاء فيه ، ورسموا المأتم أسبوعاً كالعادة . إلا أن ثلاثة من أسرة الفقيد مرضوا تلك المرضة ، وماتوا تلك الموتة ، فلم يقوضوا سرادق العزاء ، حتى أتى على جميع الأسرة الفناء . وصحا الناس من دهشة الروع وذهول الفاجعة ، فإذا كل غرفة فيها مريض ، وإذا كل ساعة فيها جنازة ! وهان الموت ورخصت الأموات ، فلا يُعاد محتضر ، ولا يشيَّع ميت ، ولا يُعزى حى . وقال فقهاء القرية إنه الهواء الأصفر الذى أهلك الله به عاداً الأولى فهيهات أن يعصم الناس منه بيوت مغلقة ، أو حصون معلقة . فاستكان القوم للقضاء ، وصفت قلوبهم من الحقد ، وعزفت نفوسهم عن الدنيا ، وانصرف كل امرىء عن عمله فى انتظار أجله .

***

كان الموت الوبئ الذريع يختار لِداتى فى الحارة واحداً بعد واحد ، فخلت الملاعب من الأطفال ، وأقفرت المكاتب من الصِّبية . وكان شوق إلى بعضهم يدفعنى إلى أن أزورهم خلسة ، فأجد فيهم من يكابد هول الداء وحده ، فلا أبوه يخفف عن كبده سمار العطش ، ولا أمه تمسح عن ثوبه رجْع القىء ! لقد شغل كل إنسان بنفسه عن غيره ، ولها كل بيت بكبيره عن صغيره .

ولكن (زهرة) اليتيمة زينة الصبايا وبهجة الحارة كانت فى السواد من قلب أختها ، وفى السواد من عين أخيها . مرَّضتها الأخت حتى أخذتها سكرة الداء ، ومرَّضها الأخ حتى غشيته غمرة

لا هوادة بعد اليوم

للأستاذ محمود محمد شاكر

لا يحل لعربي منذ اليوم أن يرفع يده عن سلاح يعده لقتال عدو قد أحاطت به جيوشه من كل ناحية ولا يحل لعربي منذ اليوم أن يدع ثغرة من ثغور العدى إلا سدها بنفسه أو ولده أو صديقه . ولا يحل لعربي منذ اليوم أن يضع عن عاتقه عبء الكد والكفاح التماساً الراحة أو الدعة . ولا يحل لعربي منذ اليوم أن يتوانى ويقول لنفسه : لقد تعبت ، وما يضرني أن أترك هذا لفلان فهو كافيه . ولا يحل لعربي منذ اليوم أن يقول : غداً أفعل ما حقه أن يفعل اليوم . ولا يحل لعربي منذ اليوم أن يخدع نفسه عن حرب دائرة الرحى بيننا وبين اليهود وأشياعهم من أمم الأرض . ولا يحل لعربي منذ اليوم أن يكتم الحق عن أهله أو عن عدوه ، ويقول هذه سياسة وكياسة وترفق . ولا يحل لعربي منذ اليوم أن يمالىء قوماً يكاشفونه بالعداوة والبغضاء ومذالة الأخلاق . ولا يحل لعربي منذ اليوم أن يقبل من رجال السياسة تأجيل شيء من قضايا العرب ، فهي كل مترابط لا ينفك منها شيء عن شيء .

لقد عرف كل عربي وكل مسلم على ظهر هذه الأرض ما آلت إليه القضية المصرية السودانية في مجلس الأمن ، وعرف كل عربي وكل مسلم ما صارت إليه قضية فلسطين في الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة فهل بقي بعد هذا مجال لناظر حتى يقول : سوف أحتال بالسياسة حتى أنال ما هو حق لي ؟ !

إن بريطانيا وأمريكا وسائر الدول التي تدير لها الساقية ، قد كشفت عن طواياها بما لا يدع لأحد علة يتعلل بها أو يتشبث ، فقد قالوا الكلمة الصريحة الواضحة بأنهم عدو لنا وحرب علينا ، وأنهم يبغون أن يحطموا هذا الجيل العربي ، وأن يسلطوا على رقابه أنذال اليهود وأوباش الاستعمار ، وأنهم يعتقدون أننا قوم لا نصلح لأن نحكم أنفسنا بأنفسنا ، أو أننا أمم قُصّر لم تبلغ رشدنا ولا يظن بنا بلوغ الرشد . فهذا ترجمة موقف الدول العادية حيال قضية مصر والسودان وحيال قضية فلسطين .

وسر هذه العداوة — ولا نكتم الحق — هو أن أوربة وأمريكا جميعاً لا يزالون يعيشون في أنفسهم إذا ذكر العرب ، في أحقاد صليبية لم تستطع المدنية ولا استطاع العلم ، ولا استطاعت سهولة المواصلات ، ولا استطاعت كثرة الهجرة والرحلة ، أن تنفيها عن قلوبهم ، بل لعلها زادتهم أضغاناً على أضغان ، ولا تزال أوربة وأمريكا تقول : خطر الإسلام وخطر العرب ، كما كانوا يقولون الخطر الأصفر والخطر الأسيوي . وإذا كان بعض ساستنا الذين لقوا ساسة الأوربيين والأمريكيين قد انخدعوا بظاهر من

الموت . وبقيت (زهرة) الجميلة وحدها تنتظر النهاية المحتومة في حجرتها الموحشة على حصيرتها الخشنة . وكانت عمتها العجوز تزورها الحين بعد الحين لترمقها من بعيد ثم تنصرف . وكنت أكنّ لهذه الفتاة نوعاً من الحب المبهم يختلط فيه الإعجاب والحنان والعطف . وكان بيتنا يشرب الماء مقلى فلم يعب أحد منا بسوء ، فظننت أن الدواء في هذا الماء ، فحملت منه قلة ثم دخلت بها عليها . فلما رأتني افترت شفتاها الذابلتان عن ابتسامتها الحلوة . وأشارت بطرفها إلى الماء فجرّعتها منه جرعة . ثم جلست بجانبها أرنو إلى العينين الفاترتين وقد كانتا كعيني الرشأ ، وإلى الوجنتين الشاحبتين وقد كانتا في حمرة الورد ، وإلى الجسد الضارع المشغوف وقد كان في غضاضة السوسن . ثم وضعت القلة مرة أخرى على فمها الجاف فرشفت منها رشفة ، ولكن الماء وقف في حلقها فلم تستطع أن تسيغه . ثم شخص بصرها ، وحشرج صدرها ، وأخذها فواق ضعيف ، ثم لفها سكون شامل !

لا أزال أذكر هذا المنظر الروع وأمثله كأنه وقع أمس ! ولا أزال أذكر أن تياراً من الرعب قد اعتراني ، فمقل يدي وعقد لساني ، فخرجت من الحجرة هارباً بنفسي لا ألوي على شيء ، ولا أخبر أحداً بشيء !

واحسرتا على قريتي الصغيرة الفقيرة ! لقد جثم على صدرها الموت الماثت حتى ختم على أكثر الدور ، ونقل نصف أهلها من الدور إلى القبور !

كانت حالنا يومئذ غير حالنا اليوم ؛ فلم يكن هناك مصل يقي ، ولا علاج يشفي ، ولا حكومة تطارد الوباء وتحصره ، ولا أمة تتبع النظام الصحي وتنشره .

محمد سعيد العريان

القول حين سمعوا أحاديث أولئك المراثين المنافقين من ساسة أوربة وأمريكا ، وظنوا أن لين القول دليل على صدق العقيدة ، حتى أجروا في أحاديثهم ذكر « عطف أمريكا على العرب » و « عطف بريطانيا على العرب » ، فقد ضلوا ضلالا مبيناً . إن أوربة وأمريكا لا تعرف العطف على العرب ، بل هي العدو ، وهي البلاء المصبوب علينا ، وإلا فكيف تعطف بريطانيا على العرب وهي التي لا تزال تفعل الأفاعيل في مصر والسودان ؟ وكيف تعطف أمريكا على العرب وهي التي خذلت مصر والسودان في مجلس الأمن؟ وكيف تعطف بريطانيا وهي التي ورّطت الدنيا كلها في مشكلة فلسطين ، ثم تجيء فتطلب من هذه الدنيا أن تحل لها المشكلة ؟ وكيف تعطف أمريكا وهي التي تمد اليهود بالمال والقوة والسلاح والدعاية ؟ وكيف وهي التي تبيح لشركات النشر والإذاعة والصحافة أن تدلس وتكذب وتخدع في شأن العرب ، ولا تجد منكراً ينكر ، ولا لساناً يدافع ، ولا قلماً يشمئز من هذه الوسائل التي تطفح بالغدر والبغي والنذالة ؟ !

إنهم جميعاً يظاهرون علينا اليهود ويظاهرون علينا الاستعمار ، ويفعلون ذلك علانية لا يستخفون ، ففيم نحتال نحن بالمداورة أحياناً خشية أن نثير علينا هؤلاء المظاهرين ، ومخافة أن نُرمى بالتعصب ؟ فيم نخاف ونحن في مقدمة هذه الحرب التي تشنها علينا بريطانيا وأمريكا بالاستعمار وباليهود ؟ ولم نخاف أن نتعصب لحريتنا واليهود يتعصبون لعدوانهم جهاراً ؟ إن العرب قد عاشوا على ظهر هذه الأرض أكثر من ثلاثة عشر قرناً فكانوا أمة وسطاً لم تظلم ولم تضطهد ، بل نصرت المظلوم وآوت المضطهد ، ورفعت النير عن رقاب الأمم مجوسها ونصاراها ويهودها ، حتى جاء أمر الله وذهبت ريحهم وغلبت عليهم الأمم . فتاريخ العرب كله دليل على أن هذا الجيل من الخلق يأنف أن يظلم وأن يضطهد ، ولكنه يأنف أيضاً أن يقبل الظلم والاضطهاد ، فإذا رد الظلم عن نفسه ودفع الاضطهاد عن حماه ، وحمى حوزته دون عدو باغ ، أو توق شراً يوشك أن يتوغل في قلب حياته ، فما يفعل ذلك عن تعصب أو حقد أو جهالة ، بل هو الحق ووسائل الحق !

وإذا كان فيما نفعله ، أو فيما يجب أن نفعله ، شيء يؤخذ على أنه صرامة وشدة وحنبلية متزمتة ، فما اضطررنا إليه فعلناه . وإليك مثلا هذه الدول العربية التي بدأت تضج ضجيج البعير آذاه الصبر الفادح ، من غول الاستعمار الأدبي والسياسي والاقتصادي ، والتي بدأت تعرف أن كل باب من أبواب الحياة قد وقف عليه ديدبان من اليهود أو من الأجانب الطارئين ، ليذودوا العربي عن الانتفاع ببلاده التي هي له ملك متوارث منذ أقدم عصور التاريخ — يذودونه عن الانتفاع بتجارة بلاده ، لأن شياطين التجارة ومردتها فئة من هذه اليهود وهذه الأجانب ، ويذودونه عن الانتفاع بمعادن أرضه ، لأن أباليسة الحديد والنار هم أصحاب المناجم في أرضه وبلاده ، ويذودونه عن الانتفاع بقوى شعبه ، لأن خزان المال من اليهود والأجانب يضربون العمال بالفقر والذل والبؤس ، ولا يدعون لهم متنفساً ، ولا طريقاً إلى بلوغ المستوى الذي يحق لهم بجهودهم التي يجودون بها ، فتكون لليهودي والأجنبي غنى ومالا وثروة ومجرفة ومنطرساً على هذه الأمة العربية ، ونكبة وبلاء واستعماراً كأنه جوامع من غليظ الحديد مضروبة في أوتارها الراسخة في جوف الأرض العربية . هكذا هو ، فما ذا تفعل هذه الدول ؟

أليس من الحق لكل بلد عربي أن يسن قانوناً لأهله أو قانوناً لحكومته إذا استطاع — أن يحرم على كل يهودي وأجنبي أن ينشئ شركة إلا إذا كان كل عامل فيها وكل موظف من أهل البلد ، وأن تكون أرباح الشركة لا تزيد على قدر معلوم ، وأن يكون الدخل وقفاً على البلاد التي يستثمر فيها جهوده ، فلا يخرج مالا ولا يختزنه في مصارف بلاد أخرى غير البلاد التي استوطنها ، وزعم أنه جاء ليسدي إليها خيراً بعلمه أو فنه أو صناعته أو تجارته ؟

أليس من الحق لكل بلد عربي إذا هو رأى هذه الأجانب وهذه اليهود تملأ عليه الجو ، وتأتيه مهاجرة من كل مكان هجرة حرة غير مقيدة أن ينظر لنفسه ومصالحه ، ويعرف أن هؤلاء خطر ينبغي درؤه واتقاؤه بكل وسيلة ؟ فإذا منعنا الهجرة أو قيدناها فأي تعصب في هذا ؟ وإذا كنا نعلم علم اليقين أن هؤلاء الطارئين هم من حثالة اليهود وحثالة الأجانب ، وأنهم أرذل خلق الله أخلاقاً وأقلهم علماً وأخسهم نفوساً ، فأي تعصب في أن نقول للعالم كله إننا نأبى أن نؤوي هذه الحثالة القذرة في بلادنا وبين أهلينا ، وأن نمنعهم أن يتدسسوا إلى حمى أعراضنا بنذالاتهم وفجورهم وعهرهم وبالخبث التي انطوت عليه دخائلهم ؟ وإذا كنا نعلم علم اليقين أن هذه الحثالة الخبيثة ، وهذه الرمم الإنسانية تفعل في شوارعنا وطرقاتنا ما لا تستطيع أن تفعل مثله في بلاد غير بلادنا التي وقعت تحت بطش الاستعمار قرناً أو بعض قرن ، فأي تعصب في

أن نسن قانوناً يوجب ترحيل هؤلاء الطارئين ، أو يوجب نزع الجنسية المصرية أو العربية أو السورية عن هذه الفئة التي جاءت دخيلة على بيوتنا وديارنا وأخلاقنا ؟

إن من حق البلاد العربية أن تفعل ذلك ولا تبالي بنقد منتقد ولا هجوم متهجم ، ولا إقذاع مبطل ولا سفاهة مدخول السريرة خبيث الطوية . كلا إنه ليس حقاً لها وحسب ، بل هو فرض لا مناص من أدائه والقيام عليه وحياطته كل الحياطة ، إن هذه اليهود وهذه الأجانب هي ذرائع الاستعمار ، وهي أداة البطش التي سلطها الاستعمار على رقابنا ، وهي الخبيثة المردية التي تفشي داؤها حتى أودى القوى وأوهن العزائم ، وأكلنا لحماً طرياً وتركنا عظاماً نخرة .

وها نحن الآن مقبلون على حرب بيننا وبين اليهود ، وحرب بيننا وبين الاستعمار ، وكلاهما حرب لا هوادة فيها ولا مفر منها ، فكيف يجوز في المعقول أن ندع العدو بين ظهرانينا يعيث فساداً وخيانة وتجسساً ، بل يأخذ من أموالنا ويرد على أموال عدونا ، فيضعفنا ويقويه ، ويهكنا وينميه ، ويوهننا ويضريه ؟ إن من القوانين الدولية في زمن الحرب أن تضع الدولة يدها على أموال أعدائها جملة واحدة ، فتستثمرها في حقها وبحقها لتكون لها قوة وعتاداً ، ومن القوانين الدولية أن تقبض الدولة على أبناء الدولة المعادية فتأسرهم في المعتقلات حتى تضع الحرب أوزارها ، خشية أن يفجروا في الأرض ويكونوا عيوناً عليها ، وبلاء في داخلها ، و«طابوراً خامساً» في شعبها . فهل شك أحد في ذلك أو استنكره أو بغض إلى دولته فعل ذلك ؟ كلا ! وإذن فكيف يجوز للعرب منذ اليوم ، وقد شرعوا في الجهاد وعزموا على أن يحطموا أغلال الاستعمار ، وأن ينقضوا عرش اليهودية الباغية ، أن يتهاونوا في الضرب على يد هذه التجارة اليهودية في قلب بلادهم ، أو أن يهادنوا هذه الشرذمة الوبيئة التي تعيش بين ظهرانيهم ، أو أن يبيحوا لأعوان الاستعمار من شذاذ الأمم والآفاقين أن يسرحوا حيث شاءوا من بلادهم ، وأن يستولوا على ما يشاؤون من أموالهم وأرزاقهم ، وأن يدخلوا فينا ليكونوا عيوناً علينا في هذه الحرب التي تدور بيننا وبين يهود : وبيننا وبين الاستعمار والمستعمرين .

ومن الذي حمل اليهود على الهجرة إلى مصر مثلاً ؟ أليست هي الفكرة الصهيونية ؟ ومن الذي حمل الأجانب على الهجرة أيضاً إلى بلادنا ؟ أليس هو الاستعمار ؟ فكيف ندع الصهيونية والاستعمار يجوسان خلال الديار ونحن في معمعان القتال ؟ وأنا أضرب مثلاً لم أزل أتتبعه منذ قامت اللجنة التي وكل إليها كتابة تقرير عن فلسطين ، ومنذ رفعت قضية مصر والسودان إلى مجلس الأمن .

فمنذ ذلك الحين وأنا أنظر وأتسمع ، وأتفرس الوجوه ، وأتوسم الشمائل ، فإذا هذه اليهود وهذه الأجانب قد خفتت أصواتها ، ولانت أخلاقها ، وهذبت عطرستها ، وحلت لنا ألسنتها ، وابتسمت لنا وجوهها . ولم أكن أجهل أن ذلك كله نفاق ورياء وخديعة يظنون أنها تخدعنا عن طوايا قلوبهم . فلما كان من أمر القضية المصرية السودانية ما كان ، وظهر من مستور اللجنة المزورة ما ظهر ، إذا هذه الأصوات الخافتة قد صارت نعيقاً ، وإذا الأخلاق اللينة قد صارت عراماً ، وإذا العطرسة المهذبة قد انقلبت فجوراً متمرداً ، وإذا الألسنة الحلوة قد صارت مراً زعافاً ، وإذا الوجوه المبتسمة قد شاهت بالتجهم وإذا الشمائل المؤدبة قد صارت عجرفة وطغياناً ، وإذا هذه الخلائق الفاجرة تمشي على أرضنا تيهاً وخيلاء كأنها جنس وحده ونحن عبيده وأذلاؤه ، وإذا نظرات الازدراء وكلمات التحقير تقال على مسمع منا ومنظر بلا حياء ولا أدب ولا خلق ، وإذا كلمة « عربي » تتردد مرة أخرى على ألسنة هؤلاء الأنذال الجبناء في كل مكان بعد سكوتهم عن النطق بها خوفاً وفزعاً ، أن يكون قد دنا موعد نصر العرب في قضية فلسطين وقضية مصر والسودان هذا كله شيء تتبعته أنا ومن أعرف ، بلا زيادة ولا دعوى كما تفعل هذه الخبائث من يهود وشذاذ الآفاق .

إنها الحرب المبيرة أيها العرب ، فلا تكن يهود التي ضرب الله عليها الذل والمسكنة والتشرد في جنبات الأرض ، أحمى منكم أنوفاً وأشد منكم حفاظاً ، وأقوى منكم حمية ، وأجرأ منكم قلوباً ولا تكن يهود أيها العرب أشد محافظة على باطلهم منكم على حقكم واعلموا أيها العرب أن الذين بيننا وبين يهود والذي بيننا وبين الإستعمار دم لا تطير رغوته ولا ينام ثأره ، وقد جدت الحرب بكم فجدوا يا أبناء إسماعيل ويا بقية الحنيف إبراهيم ، ولا يهولنكم مال اليهود ، ولا بطش بريطانيا ، ولا مخرقة أمريكا ، فإن الحق لله ، وكلمة الله هي العليا .

محمود محمد شاكر

على هامش المعركة !

للأستاذ على الطنطاوى

تحرك الجيش المصرى بعد طول السكون ، ومهر القادة يرسمون الخطط ، ويعدون مناهج القتال ، واستعد الجند وشحذوا السلاح ، وسيقت الكتائب تترآ[1] ، فلا ترى إلا جنداً يزحفون إلى ساحة المعركة ، يمشون خائفين وهم الكماة الشجعان الذين ما عرفوا الخوف ، ويتقدمون حذرين وهم الشوس المقاديم الذين لا يرهبون الخطر ، يتلفتون لا يدرون من أين يأتيهم هذا العدو المرعب ، الذى يضرب الضربة ، فيهدم الدور ، ويفتح القبور وهو مختف لا يرى ، فإذا وارى الناس موتاهم ، ومسحوا دموعهم ، وحسبوا أنهم نجوا منه ، رأوه قد ضرب ضربته الثانية ، فى مكان قريب أو بعيد ، لا يعلمون كيف تسلل إليه . لا يقف فى وجهه حصن ، ولا يرده بارود ، ولا ينفع معه رصاص ولا قنابل ؛ ولا يدرون من أين يطلع عليهم : أيهبط من السماء ، أم يخرج من الماء ، أم ينبعث من خلال الظلام ؛ يخشون أن يكون قد امتلكهم وهم لا يحسون ، وقبض على أعناقهم ، يمتص دماءهم ، ويزهق أرواحهم ، ويجرعهم كؤوس الموت ... وهم واقفون يحرسون البلاد منه ، ويعدون العدة للقضاء عليه

وفشا فى الناس الخوف ، وعمّ الذعر ، وعلت الوجوه قترة الجزع ، وشغلت الألسنة أحاديث الخطر ، وملأت القلوب رهبة المصير

ولو كانت معركة جنود وعتاد لهانت ولما خاف منها أحد ، لأن هذا الشعب قد تمرس بالمعارك من يوم كان قابعاً فى صحرائه ، يساير الشمس ، ويصاحب الرمال ، ويعانق السيوف ، إلى أن أخرجه محمد ليضىء مصباح القرآن فى المشارق والمغارب ، فينير به الدنيا المظلمة ، والقلوب القاتمة ، وهو إلف المعارك وحليفها ، خاضها وهى تلتهب بنار الهواجر ، عند خط الاستواء ، وهى تتشح بجليد الشتاء على حدود القطب ، مارّده عنها الزمهرير ولا ريح السموم ، وواجه الأعداء من كل لون وجنس ولسان ، فما يخاف اليوم انكلترا ولا يخشى أمريكا ، ولكن هذا العدو أنكى من انكلترا نكاية ، وأخفى مكراً ، وأسرع ضرراً . صغير ولكنه يحط النسر من علیائه ، ويلقى الأسد على مضائه ، ويفتك بهذا الإنسان الذى حكم الجو والبحر ، وسابق فى الفضاء الصوت ، وعاند القدر ، فجاء القدر يحاربه بأصغر جندى من جنوده ، يجندى تحمل الآلاف منه — من هوانه — رجل ذبابة ، وهى لا تشعر بما تحمل .. به (مكروب الكوليرا)

* * *

وسمع الناس باسم (الكوليرا) فذكروا (الهواء الأصفر) وذكروا (الوباء) وما يروى التاريخ من أوزائه وبلاياه .

واغتنم الشيوخ الفرصة ليحظوا بالالتفات إليهم بعد طول الاعراض عنهم ، فحدثوا بما رأوا من فظائع الوباء الذى مر على مصر فى مطلع هذا القرن ، والذى جاز بالشام ، فى الحرب الماضية ، ورأيناه نحن ، وبالغوا ، ووصفوا الجثث التى تكاثرت حتى ما تسعها القبور ، والصراخ الذى علا حتى ما تتحمله الآذان ، والآلام التى ازدادت حتى ما يطيقها بشر . فروّعوا الناس وخوفوهم ، على خوفهم ، فما يستقر بهم قرار ...

وقامت الحكومة ، وانبرى الأطباء ، يهدئون الناس ويطمئنونهم ، ويرجعون إليهم ثقتهم بالعلم ، ويضعون لهم المناهج الصحية ، ويدلونهم على وسائل الوقاية : لا تشربوا الماء إلا من الأنابيب ، وإن شككتم فيه فاغلوه ، ثم صبوا عليه ماء الليمون ، ولا تأكلوا الثمار إلا مسلوقة أو مغموسة بالماء المغلى ، ولا تعملوا كذا إلا بكذا ، ولا تصنعوا كيت إلا بكيت . ثم تعالوا نعطيكم الدواء الواقى ، وما بقى من القضاء إلا من قضاه .. ولكن لكل شىء أسباباً ، ولكل مرض علاجاً ، والذى أنزل الداء هو الذى أنزل الدواء .

ونشرت هذه النصائح فى الجرائد ، وعلقت على السيارات ، وقيلت فى (الإذاعات) ، وخطب بها على المنابر ، وأسرع القارئون والسامعون يعملون بها ، وينفذون ما جاء فيها ، وحسب أولو الأمر أنهم قد أسمعوا الناس ، وعلموهم ، ووقوهم أسباب الردى ، ولم يدر أحد بجيراننا الذين يسكنون (عشة حقيرة) خلال قصور الروضة العامرة ، مبنية من جذوع النخل ، مغطاة بالقش وبأنواع

(١) تترآ وتترى أى متتابعين (ومادتها وتر)

اللق[1]، لها باب صغير كأنه فتحة مغارة، لا شباك لها ولا نافذة، ولا ترى الشمس داخلها، ولا يجاوز الضوء بابها ولا يلجها إلا بمقدار. لا ماء فيها إلا ما يستقونه من ماء النهر فيضعونه في الجرار المكشوفة يلغ فيها الكلاب، وتغتسل فيها الآنية، ويسقط فيها الذباب، فتزداد أذى على أذاها، ولا نور إلا نور مصباح زيتي يكاد دخانه المتكاثف يطمس نوره الخافت، ولا نار إلا نار هذا الحطب الذي يوقدونه فيها ليطبخوا عليه، فيخرج دخانه من شقوق السقف، يملأ الحي، ويروع الغريب، فيظن أن البيت، (أعني الكوخ) قد احترق ... تنام في هذه (العشة) الأم (الشحاذة) وأولادها والكلب والحمار الهزيل، ومالا يعلمه إلا الله من الفيران والصراصير والخنافس وسائر الهوام والحشرات والدبابات، لا يكلمون أحداً في الحي ولا يكلمهم أحد، قد خرجوا من دنيا الناس ولم يدخل الناس دنياهم. وما دنياهم؟ إن خيراً منها دنيا كثير من كلاب الأغنياء وخيولهم وقردتهم. وليس فيهم من يقرأ جريدة أو يبصر إعلاناً، أو يسمع (راديو) أو يحضر وعظ واعظ، أو خطبة خطيب، فلم يعلموا بما روّع الناس، وصدع خوفه قلوبهم، ولا عرفوا من طرق الوقاية كثيراً ولا قليلا ولو هم عرفوها، لما استطاعوا أن يصنعوا شيئاً.

***

وأمثال هؤلاء الذين لم يدر بهم أحد كثير كثير .. إن نحن وقينا المرض، حملوه هم إلينا، فما أغنى عنا توقينا شيئاً، وإن اعتصمنا بالعلم والمال، فما لهم من علم يعصمهم ولا مال.

ولو كنا صدقنا الحملة يوم حملنا على المرض والجهل والفقر لوجدنا فيهم اليوم صحة تعينهم على احتمال المرض، وعلماً يمكنهم من فهم مناهج الوقاية، ومالا يقدرهم على تهيئة أسبابها. ولكنا أهملناهم فجئنا نتلقى عواقب هذا الإهمال، فإن أصبنا اليوم بهم فياطالما أصيبوا هم بنا، وإن شكونا من أذاهم لنا، فياطالما شكوا هم من أذانا.

وهل شكوا حقاً؟ وهل ترجمنا لهم ألسنة تنطق بشكوى؟ أو أقلاماً تعبر عن نقمة؟ أما أخرسنا بالجوع ألسنتهم، وشللنا بالجهل أصابعهم، وحرمناهم الإنسانية حين جعلناهم حيوانات لا تنطق وما كان الإنسان إلا بالنطق إنساناً!

فانشروا الآن ما شئتم من نصائح، وأذيعوا ما أردتم من مناهج، إن أكثر الناس لا يقرؤونها، وإذا قرؤوها لا يعملون بها لأنهم عاجزون عنها، فوقوهم أنتم أسباب المرض لتقوا أنفسكم واعتنوا بهم ليبقوا في خدمتكم، ولكن لا تمنوا عليهم بفعلكم، ولا تزعموا أنكم أحسنتم إليهم بصنعكم، لأنكم تطيلون حياتهم فتطيلون معها عذابهم، ولو تركتموهم يموتون لكان خيراً لهم (هم) وأبعد للمتاعب عنهم.

أما إن الخطر على هؤلاء الساكنين منا، والخطر على الأمة منهم من مرضهم وجهلهم وفقرهم، أشد من خطر (الكوليرا) فاعملوا على دفعه، واعلموا أنكم إن لم تحيوهم بما في طبيعة المروءة من مساواة، وما في أحكام الإسلام من عدالة؛ أوشكتم أن تخالفوا بفعلكم المروءة والإسلام، وأن تؤيسوهم منهما، وأن تضطروهم اضطراراً إلى التفتيش عن مصدر آخر للأمل لعلهم يظنون (ظناً كاذباً) أنهم واجدوه في الشيوعية، فيكونوا شيوعيين، ويومئذ تكون الطامة الكبرى...

***

وانظروا هذا الوباء المروع، الذي أفزعكم وصدع خوفه قلوبكم، من أين جاءكم؟ تقولون: من الهند ... نعم، ولكن ما جاء به حاج هندي، ولا تاجر ولا سائح، ما جاء به إلا هؤلاء الإنكليز، إنه لا يأتي منهم إلا الكوليرا، والصهيونية، وسورية الكبرى، فاعتبروا، وصدقوا، وانفضوا أيديكم منهم ومن مدارسهم، ومن بضاعتهم، إن الوباء الذي تنشره المدرستان الإنكليزيتان بجوارنا في الروضة، لا يقل عن هذا الوباء الذي تنشره معسكراتهم بجوار القنال، بل ربما كان شراً منه، لأن ذاك يقتل الأجساد، وهذا يفتك بالأرواح، ويمعن بما فيها من خيرات، ويذهب بما تنطوي عليه من حب لمصر وللعروبة والاستقلال، ويجعل من أبنائها أعداء لها، فقاطعوا كل شيء إنكليزي، وأقيموا دونه سداً منيعاً، كهذا السد الذي تقيمونه دون (الكوليرا الانكليزية)، وقفوا عليه الحراس الشداد، معهم الأسلحة المواضي، فلا ينفذ منه شيء إنكليزي قط، لا رجل ولا كتاب ولا فكرة ولا بضاعة ولا كوليرا ولا

(١) اللق: كل ما تلفيه من حقارته: الرباطة. الفضلات

كَلْـــواذى

للأســـتاذ شكرى محمود أحمد

إحدى طساسيج[1] بغداد المشهورة ، ومواطن اللهو المذكورة ، لها ذكر فى الأخبار والآثار ، بل ربما كانت من أقدم المواضع الأثرية فى العراق .

قال المسعودى فى الكلام على الأمم ولغاتها ومواضع مساكنها ما نصه « الأمة الثانية : الكلدانيون ، وقد ذكروا فى التوراة بقوله عز وجل لإبراهيم « أنا الرب الذى أنجيتك من نار الكلدانيين لأجعل هذه البلاد لك ميراثاً » ... وكانت دار مملكتهم العظمى مدينة كلواذى من أرض العراق ، وإليها أضيفوا ، وكانوا شعوباً وقبائل منهم الأثوريون والجرامقة والأرمان ونبط العراق وأهل السواد ... ثم يحدد مملكتهم هذه فيقول : وكانت بلاد الكلدانيين العراق وديار ربيعة وديار مضر والشام وبلاد العرب واليمن وتهامة والحجاز واليمامة والعروض والبحرين والشحر وحضرموت وعمان ... ثم يقول بعد ذلك : وهذه جزيرة العرب كانت كلها مملكة واحدة يملكها ملك واحد ، ولسانها واحد سريانى وعاصمتها واحدة هى كلواذى[1] .

وقد دلت الحفريات التى أجريت فى هذا الموضع على أنها من أقدم الأراضى المعمورة فى العراق كما سيبين هذا فى موضعه .

اسمها ومعناه :

اختلف المحققون فى شكل اسمها وعدد حروفه ، واختلافهم يدور على الحرف الأول والأخير منها . قال ياقوت فى معجمه : كلواذى بالفتح ثم السكون والذال معجمه آخره ألف تكتب ياء مقصورة[2] ، وعلى هذا أيضاً صفى الدين بن عبد المؤمن فى كتابه مراصد الاطلاع[3] .

وجاء فى كتاب محمد بن الحسن الحاتمى الذى سماه « جهة

(١) مفردها طسوج فارسى معرب أصله تسوه فأبدلت التاء طاء والهاء جيما كما هو معروف فى قواعد التعريب ومثله طارج معرب تاره .

(١) التنبيه والاشراف ص ٦٨ ، ٦٩ .

(٢) معجم البلدان ج ٦ ص ٢٧٦ .

(٣) مراصد الاطلاع ص ٣٤٤ .

صهيونية ولا سورية الكبرى ...

***

وبعد ، فلا يبلغ بكم الجزع ، فالخطب إن شاء الله يسير ، والسلامة قريبة ، والمرض زائل ، وما أخشى على مصر المرض ولكن أخشى أن تنقشع السحابة ، ويعود الصفاء ، فننسى أن فى مصر ملايين لم تصل إليهم هذه الحضارة ، ولم يستمتعوا بشىء من متعها ، ولم يصبهم من خير مصر إلا الأقل ، وخيرها يصيب كل أجنبى عن مصر ، آكل لخيراتها كاره لها ، مزدر لأهلها ، وإن لهؤلاء حقاً صريحاً ، حقاً أقرته الأديان والشرائع كلها ، والإنسانية ، وقواعد العدالة : هو أن يكونوا أصحاء الأجسام ، متعلمين مايفهمون به الخير من الشر ، واجدين من المال مايشترون به ضروريات الحياة . وننسى أن الله خلق الناس إخواناً ، فلم يخلق بعضهم عبيداً لبعض ، وأن عمرو بن العاص ، أبطل العبودية من مصر وألغى (نظام الطبقات) ، وسوّى بين الناس ، فى العهد الذى نسميه جهلا وغفلة عهد (القرون الوسطى) ، وأنه من العار على الإنسانية وعلى الحضارة ، وعلى مصر ، أن تعود إليه مصر فى (قرن العشرين)

وأن ننسى أن الإنكليز هم جاؤونا بالوباء ، وأنه لا يأتى منهم إلا هذا ... وأخشى أن نعود إلى معاملتهم وتحسين الظن بهم وبحضارتهم وأن لا نقطع على أنفسنا عهداً جازماً ، مقسمين بقبور اخواننا هؤلاء الذين قضوا شهداء (الكوليرا الإنكليزية) ، وبدماء شهدائنا الذين سقطوا صرعى على ثرى مصر رصاص الإنكليز من يوم وطئوا مصر غاصبين إلى هذه الساعة ، وبأمجاد ماضينا ، وأرواح أجدادنا ، أننا سنقاطع كل شىء إنكليزى ولو كان الخبز الذى نأكله ، والماء الذى نشربه ، والهواء الذى نتنشقه ، وأن نموت أحراراً ، إن لم نجد إلا حياة الذل حياة !

(القاهرة) **على الطنطاوى**

الأدب »[١] وابتدأ فيه بالرد على المتنبي أن الصواب فيه كِلْواذ بكسر الكاف وإسكان اللام وإسقاط الياء[٢] .

أما معناه فقد ذكر ابن الإعرابي : الكلواذ تابوت التوراة[٣] وقال الحاتمي : قلت له — يعني المتنبي — أخبرني عن قولك :

طلب الأمارة في الثغور ونشوة ما بين كرخايا إلى كلواذ

من أين لك هذه اللغة في كلواذ ؟ أحسبك أخذتها عن اللاحين . قال : وما الكلواذ ؟ قلت : تابوت التوراة ، وبها سميت ، قال وما الدليل على هذا ؟ قلت قول الراجز :

كأن أصوات الغبيط الشادي زِرٌّ مهاريقٌ على كلواذ

الكلواذ تابوت توراة موسى عليه السلام . وحكى في بعض الروايات أنه مدفون في هذا الموضع ، فمن أجله سميت كلواذ[٤] .

موقعها :

قال ياقوت : كلواذى طسوج قرب مدينة السلام بغداد ، وناحية الجانب الشرقي من بغداد من جانبها ، وناحية الجانب الغربي من نهر بوق . ثم قال : وهي الآن خراب أثرها باق ، بينها وبين بغداد فرسخ للمنحدر[٥] . وعلى هذا أيضاً صفي الدين في مراصد الاطلاع ، ولكنه زاد عليه : وهي أسفل من بغداد أحد أبوابها إليه ، وهي قرى كثيرة عامرة[٦] .

وكان تحتها في القديم قرية عامرة اسمها مصرانا جاء ذكرها في معجم البلدان ومراصد الاطلاع[٧] . وكان بين كلواذى وقرى بنّا فرسخان[٨] وكان من أعمالها قرية صغيرة اسمها الفِرْك ، جاء ذكرها في شعر أبي نواس في هجاء إسماعيل بن صبيح كاتب الرشيد في قوله :

أحين ودعنا يحيى لرحلته وخلف الفرك واستعلى لكلواذا
أتته فتحة إسماعيل مقسمة عليه أن لا يريم الدهرَ بغداذا
فحرفه رده لأقول فتحته أقم على ولا هذا ولا هذا[١]

وإلى جانب كلواذى قرب نهر تامُرّا[٢] قرية أخرى اسمها الزعفرانية[٣] ، ولا تزال هذه القرية عامرة تحمل هذا الاسم .

ومن أعمال كلواذى قرية باري[٤] ذكرها ياقوت وصفي الدين قد بدىء بإعادة بناء هذه القرية حديثاً باسم « بغداد الجديدة » لأن الشركة المشرفة على البناء لم تعرف اسمها القديم . وقد كانت هذه القرية كثيرة البساتين والمتنزهات يقصدها أهل البطالة واللهو والمولعون بشرب الخمر ، وقد ذكرها الحسين بن الضحاك الخليع في قوله :

أحب الغي من نخلات باري وجوسقها المشيد بالصفيح
ويعجبني تناوح أيكتيها إليّ بريح حوذان وشيح
ولون الغي مصارع للسكارى ، ونادبة الحمام على الطلوح
وكأساً في يمين عقيد ملك تزين ســـفاته غرر المديح

أما موقعها بالنسبة إلى خطط بغداد في هذا العصر ففي معسكر الرشيد الذي كان يسمى معسكر الهنيدي ومدينة المهال ومخيم الأرمن وحلبة السباق وتل محمد[٥] وتل حرملة[٦] ، وناحية الكرادة . وربما كان هذا الاسم « كرادة » تطوراً لاسمها القديم كلوازى .

التنقيبات في كلوازى : أجريت تنقيبات كثيرة في بعض مناطق كلوازى ، عثر فيها المنقبون على أمور مهمة جداً في تاريخ العراق . وأقدم من قام بالحفريات في أطلالها البعثة الألماني فلكس جونس سنة ١٨٥٠ وكتب كتاباً باللغة الألمانية عن الحفريات بين النهرين ، ومما عثر عليه في تل محمد ألواح كثيرة من اللبن المشوى كما عثر على كتابة لحمورابي . (ج ٢ ص ٩٥)

---

(١) وجدت قسما من هذا الكتاب في إرشاد الأديب في ترجمه الحاتمي ، ومطبوعاً ببغداد في مطبعة الآداب سنة ١٣٢٧ هـ ولم أجد فيه هذا الخبر الذي ذكره ياقوت في معجم البلدان .

(٢) معجم البلدان ج ٦ ص ٢٧٧ .

(٣) » » » »

(٤) معجم البلدان ج ٦ ص ٢٧٧ .

(٥) معجم البلدان ج ٦ ص ٢٧٦ .

(٦) مراصد الاطلاع ص ٣٤٤ .

(٧) مراصد الاطلاع ص ٢٧٢ .

(٨) معجم البلدان ص ٢٨٦ .

(١) هذه القصيدة غير موجودة في ديوان أبي نواس وهي في معجم البلدان في مادة كلوازى .

(٢) يسمى هذا النهر عند مصبه في دجلة نهر ديالى .

(٣) مراصد الاطلاع ص ٢٠٣ .

(٤) معجم البلدان ج ٢ ص ٣٥ ومراصد الاطلاع ص ٨٥ .

(٥،٦) ليس لهذين اللذين ذكرهما معجم الأدباء ومراصد الاطلاع ، والغالب أن اسمهما مستحدثان .

وهناك تل آخر يبلغ نصف قطره ١٥٠ متراً اسمه تل حرمله يفصله عن تل محمد نهر مندوس وأرض مرتفعة طولها ٦٠٠ متراً وقد اعتبرها هرتزفلد بقايا مدينة مندرسة .

ولما أرادت الحكومة العراقية أن تبنى مدينة للعمال وصغار الموظفين سنة ١٩٤٥ قامت مديرية الآثار العراقية بإجراء التنقيبات فى المنطقة التى بين تل محمد وتل حرملة لمعرفة طبيعة هذه الأرض المندرسة .

وقد أظهرت الحفريات أن تل حرملة يمثل سوراً حصيناً على شكل مربع غير منتظم له باب واحد فى الجهة الجنوبية الغربية وعلى طرفيه أبراج عظيمة هائلة .

وعثر بنتيجة الحفر على معبد كبير طوله ٢٨ متراً وعرضه ١٨ متراً ، على بابه أسدان بحجمها الطبيعى ، كما عثر على معبد أصغر منه طوله ١٥ متراً وعرضه ١٤ متراً وعلى بابه أسدان أيضاً من الطين المشوى . وعثر على عدة أبنية مماثلة ، وعلى بناية واسعة طولها ٢٥ متراً وعرضها ٢٣ متراً يتم شكلها على أنها كانت موضع الإدارة ، وعثر على بنايات صغيرة يتم شكلها على أنها كانت دوائر حكومية وخزائن للوثائق الرسمية .

أما الآثار التى عثر عليها فى هذا التل فأهمها ١٣٠٠ لوحة من مختلف الأنواع والحجوم ، وكلها من الطين المشوى ، وفى بعضها مستندات يستعملها الكهنة وهى تحمل اسم الإله « خانى » واسم زوجه « نيسابا » كتبت داخل طغراء مربعة الشكل .

وفى إحدى هذه الألواح قائمة بأسماء مدن ، كما عثر على ستة تماثيل من الطين المشوى وهى مهشمة لقدم العهد[1]

ذكرها وأخبارها : كانت كلواذى ملتقى الفساق ومأوى العشاق ، يجتمع فيها أرباب التهتك والدعارة يعقدون فيها مجالسهم بين رياضها وعلى حافتى أنهارها ، يشربون ويفجرون . يقيمون فيها الشهور بين الدنان والقيان والمعازف ، مقيمين على إطاعة إبليس فى هتك ستر الماضى واقتراف الآثام

فهذا أبو نواس قيل له مرة : هل تريد الحج ؟ فأجاب : نعم إذا قضيت لذات بغداد . . وأتى له ذلك وهو فى بغداد التى جمعت الظرف والجمال والمتعة والثراء ... وهب أن بغداد ضاقت به فلم يطق الحياة فيها حتى دفعت به إلى الحج فكيف يتخلص من قطربل وكلواذى ، وهؤلاء شذاذ بغداد ملء السمع والبصر ... وفيهم يقول .

وقائل هل تريد الحج قلت له : نعم ، إذا قضيت لذات بغداد
أما وقطربل منى بحيث أرى ، فقنة الفرك من أكناف كلواذ
فالصالحية فالكرخ التى جمعت شذاذ بغداد ماهم لى بشذاذ[2]

ومن ظريف ما هجيت به بغداد قول بعضهم :

اخلع ببغداد العذارا ودع التنسك والوقارا
ولقد بليت بعصبة ما أن يرون العار عارا
لا مسلمين ولا يهو دولا مجوس ولا نصارى

فكيف يترك أبو نواس هذه الحياة المرحة ويذهب إلى الحج ؟.. ولكن الرشيد لما خرج يريد الحج شاء أن يكون فى ركابه شاعرنا الظريف أبو نواس ، فاصطحبه معه ، وفى مكة نظم أرجوزته المشهورة ، وهى أروع ما قيل فى الزهد أولها :

إلهنا ما أعدل لك مليك كل من ملك

فلما عاد أبو نواس إلى بغداد أشيع أنه تنسك بعد حجه ، وعكف يكفر عن ذنوبه ، وهذا خبر ظريف ، وكيف يكون ذلك وهو فى بغداد بين عصابته من أحلاس الكأس وفرسان الخمر ، ثم هذه كلواذى وطيزناباذ ، وتلك قرى بنا قد توزع قلبه بين حاناتها وظبائها ، فكيف يزهد ويرعوى ؟ ويترك هذه الحياة الضاحكة المصفقة ؟ لذلك راح يكذب هذا الخبر — خبر التنسك بأبيات ظريفة منها :

قالوا : تنسك بعد الحج قلت لهم : أرى وأرجو وأخشى طيزناباذا
ما أبعد النسك من قلب تضمنه قطربل فقرى بنا فكلواذا
فإن سلمت ، وما قلبى على ثقة من السلامة ، لم أسلم ببغداذا[3]

ومن الغريب أن مطيع بن اياس وهو رأس العصبة الماجنة ، يذم بغداد كما يذم كلواذى ويأسف على عمره الذى زال عنه وأسكنه بغداد ، ثم يدعو على بغداد وكلواذى بالخراب قائلا :

حبذا عيشنا الذى زال عنا حبذا ذاك ، حين لا حبذا ذا
زاد هذا الزمان شراً وعسراً علينا ، إذ أحلنا بغداذا

(١) مجلة سومر السنة الأولى المجلد الثانى .

(١) ديوان أبى نواس طبعة آصاف ص ٢٧٢ .
(٢) » » » ص ٢٧٢ .

بلدة تمطر التراب على النا س ، كما تمطر السماء الرذاذا
خربت عاجلا واخرب ذو العر ش بأعمال أهلها كاوادا [١]

كانت كلواذى ميناء مدينة بغداد ، ترسو فيها السفن التجارية القادمة من واسط والبصرة[٢] أو القادمة من شمال بغداد فى نهر دجلة أو نهر نامرا ، وقد كانت عامرة على عهد العباسيين تمد بغداد بمختلف المنتوجات الزراعية ، بل كانت من الأسباب الهامة التى جعلت المنصور يختار موضع مدينة السلام بغداد فى هذا المكان .

قال المقدسى إن المنصور انتصح بما أشير عليه فى بناء عاصمة ملكه فى هذا الموضع ، ويذكر هذا الجغرافى أن أصحاب المنصور قالوا له « تنزل فى بغداد فإنك تصير بين أربعة طساسيج ، طسوجان فى الجانب الغربى وطسوجان فى الجانب الشرقى ، فأما اللذان فى الجانب الغربى فقطربل وبادوريا وأما اللذان فى الجانب الشرقى فنهر بوق وكلواذى [٣] »

وبقيت عامرة بقراها مدة طويلة من الزمن ، وقد خربت على عهد ياقوت أى فى القرن السابع الهجرى لأن ياقوت كانت وفاته سنة ٦٢٦ هـ .

كانت أرض كلواذى منخفضة لذلك كانت مهددة بالغرق كلما زادت المياه فى دجلة . ففى سنة إحدى وأربعين وستمائة مثلا زادت دجلة زيادة مفرطة وغرقت مواضع كثيرة فى بغداد فعمل الناس سداً بين بغداد وكلواذى ، وانتقلوا خلف السكر ، وصليت الجمعة على طرف الخندق مما يلى دار السناة — وهى القصر الموجود فى القلعة حالياً — .

قال ابن الفوطى وفى هذه السنة ٦٤١ هـ احكم السد الذى بين بغداد وكلواذى ، وخرج تاج الدين بن الدوامى حاجب باب النوبى إلى باب كلواذى — هو الباب الشرقى حالياً — وأحكم السكر وبات عليه[٤] »

وقد شهدت كلواذى المعارك بين الأمين والمأمون ، ودارت فيها المعارك بين الجيشين ، قال المسعودى : لما تقدم هرثمة بن أعين إلى بغداد نزل زهير بن المسيب الضبى أحد قواده فى مصرانا مما يلى كلواذى ، وغشى ما فى السفن من أموال التجار الوارده من واسط والبصرة ، ثم تقدم فنزل كلواذى فتأذى الناس به ، وعمد له خلق من المعيارين وأهل السجون والشطار [١].

وكان الشطار والمعيارون يحاربون المأمونية وهم عراة فى أوساطهم المآزر ، وقد اتخذوا لرؤوسهم واوخل (؟) من الحوص سموها الخوذ ، ودرقاً من الحوص والبوارى محشوة بالرمل والحصى ، وقد خرجت العراة ذات يوم فى مائة ألف رجل إلى كلواذى بالرماح والسيوف والقصب والطرادات ونفخوا فى القصب وقرون البقر وزحفوا على المأمونية فى كلواذى حتى أخرجوهم منها[٢]

(١) مروج الذهب ج ٣ ص ٣١٥ ، ٣١٦ .
(٢) مروج الذهب ج ٣ ص ٣١٥ ، ٣١٦ .

شكرى محمود احمد
مدرس العربية بدار المعلمين الابتدائية

(١) معجم البلدان ج ٦ ص ٢٧٧ .
(٢) مروج الذهب ج ٣ ص ٣١٤ .
(٣) المتزع ص ٢١ .
(٤) ابن الفوطى ص ١٨٦ .

صدر اليوم :

شرق وغرب

ديوان ضخم حافل مصور فى طبعة أنيقة ممتازة

وثبات بعيدة فى شعر الفن والجمال والحب
صور جديدة لشعر البطولة وأمجاد العروبة
للشاعر على محمود طه

التصوير لنابغتى الفن
محمد سليم شوقى وعبد العزيز خالد درويش

يطلب من
دار إحياء الكتب العربية
لأصحابها عيسى البابى الحلبى وشركاه
الثمن ٣٠ قرشاً عدا مصاريف البريد

فلسفة طاغور فى العلم والعمل

للأديب عبد العزيز محمـــد الزكى

يعرف عن طاغور أنه صرح فى مناسبات عدة ، أنه ليس بفيلسوف ولم يحاول قط أن يبتدع مذاهب جديدة فى الفلسفة ، وأنه كان يعمل دائماً على إحياء الحكمة الهندية القديمة والتعاليم الهندوسية حتى تساير روح العصور الحديثة واتجاهات المدنية الغربية ، ولكن بدون أن تفقد فى الوقت نفسه شيئاً من أصالة مقوماتها الروحية ، أو تتعارض مع نزعات الهنود الأساسية .

أحسب أن هذا عمل شاق ! إذ كيف يمكن التوفيق بين تعاليم متعارضة ومبادىء متناقضة ؟ فإن تعاليم الهند الروحية تزهد فى متع الحياة ، وتحتقر ميدان المادة والقوة ، وتنفر من الحياة العملية النافعة ، وتكره أن تخوض معترك التوسع الاستعمارى وبسط النفوذ ، ولا تتمسك إلا بالفضائل الخلقية والقيم المعنوية ، وتدفع الهندى لأن يؤمن باتحاد الوجود الشامل ، وتلزمه بأن يسعى لكى يدرك الله ويلاشى فرديته فيه ، فيشعر بالوحدة المطلقة التى تبعث فى نفسه السعادة والحرية . بينما مبادىء الحياة الغربية ترحب بمختلف متع الدنيا الحسية ، وتحث على كل عمل يجلب أى نفع مادى ، وتشجع على الاندماج فى الحياة الاستقلالية والمغامرة فى ساحة المادة والقوة ، كما لا تتمسك إلا بالفضائل النفعية والقيم العملية ، ولا تكترث للدين بقدر ما تكترث للدنيا ؛ فأقبل الغربى على ملاذ الحياة الأرضية إقبالا جنونياً غافلا عن أصول تعاليم ديانته المسيحية التى تنشد الخلاص من الحياة التى تجذبه مفاتنها ، فشمله الطمع والجشع والأنانية ، ووقع فريسة للفوضى والاضطرابات والقلق ، وحرم من الأمن والسلام والاطمئنان .

ويخيل إلىّ أن طاغور لم يفكر فى أن يوفق بين هذه النزعات المتضاربة ، وإنما لاحظ على الغرب شغفاً عميقاً بالعلم وجداً مستمراً ونشاطاً متواصلا فى العمل فاستحق كل ذلك منه الإعجاب والتقدير . بينما وجد تعلق الهند بالزهد والانصراف عن الحياة شغلها عن كل شىء إلا عن تحقيق الاتحاد بالله والاندماج فى اللانهاية ؛ فأصيبت بالجمود والموت ، وكبت بسبعة التقاليد العتيقة التى لا تلائم روح الحياة العصرية ، وبدت الهند كأمة كسولة عاجزة فى عالم كله حركة وتغير وتقدم فأراد طاغور أن يبعث حيويتها من جديد ، ويخلع عنها رداء القدم والعجز ؛ وأن يبين لها الوسائل التى تمكنها فى الاندماج فى الحياة العملية ، والمساهمة بنصيب وافر فى تقدم العلم وترقية العمل . وكان طاغور فى ذلك كله حريصاً كل الحرص على المحافظة على الطابع الهندى ، فإن بدت كتاباته كأنها تحث الهنود على كشف القوانين العلمية ، والابتكار فى ميدان العمل ، ومحاكاة الغرب فى مختلف نشاطه الحضارى ، إلا أنه عمد أن لا تكون بواعث الهندى أو غاياته فى بحثه فى العلوم وتجديده فى العمل هى عين بواعث الغربى وغاياته ، كما حرص على أن تستمد هذه البواعث وتلك الغايات من صلب الحكمة الهندية عامة ، ومن أصول الدين الهندوسى خاصة .

ولكى نفهم كيف استعان بالكتب المقدسة فى تشكيل دوافع طلب العلم ، وأهداف أداء العمل المستمر المتجدد حسب المزاج الهندى الخالص ، يحسن بنا أن نعرج أولا إلى نظرات الدين الهندوسى — كما فهمه طاغور — إلى النفس الإنسانية التى تكشف المعرفة وتبنى العلم ، وإلى الإرادة البشرية التى تنجز الأعمال الدينوية ويتنكر فيها .

أولا : أما عن النفس فيقول طاغور إن الدين الهندوسى يؤكد لنا أن الكون وحدة شاملة ، تضم كل ما يوجد فيه من جماد ونبات وحيوان وإنسان ، ويتجلى الله فيها جميعاً . وأن النفس الإنسانية جزء من أجزاء الكون المتعددة المتنوعة التى يتجلى فيها الله ، إلا أن لها استقلالها الخاص ، ووجودها المنفرد ، وكيانها القائم بذاته بالرغم من اتحاد أجزاء الكون الشامل ، وتجاذبها الشديد . إذ أن استقلال النفس له قيمته ، فمن طريقة يمكن للنفس أن تحقق وحدتها بالكون فى صورة أروع وأقوى مما لو كانت راقدة فيه غير شاعرة باستقلالها ، فضلا عن أن هذا الاستقلال لا يفصلها تماماً عما فى الوجود ، ولا يقطع صلتها بالحقيقة الكامنة فى جميع نواحى الكون ، وفى أعمق أغوار النفس . . فهى مرتبطة بالله وكيانها قائم به ، بل إن كمالها لا يتحقق ما لم تشعر بحضوره فى دخيلتها ، ولا تفز بحريتها الروحية إلا إذا خضعت لإرادته ، ولا تحس بالغبطة إلا إذا اندمجت فيه وأمحت فرديتها فى لانهايته .

وأما إذا شعرت النفس بنوع من الانفصال المطلق عن الكون المتحد الذى يكمن لله فى جميع أشيائه ، فإن مرجع ذلك

إلى حبس حياتها فى حدود فرديتها ، وإلى خداعها بالمظهر الكاذب وإلى استسلامها لإغراء الوهم الباطل الذى يوحى إليها بأنها غاية ذاتها ، ويشغلها عن أى حقيقة أخرى تتعدى هذه الذات ، ويوقفها تحت تأثير شهوات الإنسانية والكبرياء والغرور فتندفع فى طريق الآثام والجرائم التى تحجب عن النفس حقيقتها المستمرة فيها ، فتجهل أن الكون تجمع أجزاءه وحدة تامة يتجلى فيها الله ولا تملك أن تحقق كمالها بالاتحاد باللانهاية ، وتفشل فى إحراز حريتها الروحية ، تحرم من الشعور بالحب الذى يفيض بالغبطة والسرور . وإذا أرادت تلك النفس الآثمة أن تحقق كمالها ، يجب أن تحرج ذاتها من حدود فرديتها الضيقة إلى نطاق اللانهاية الفسيح ، وتسعى لأن تتحرر من أسر المظهر ، وتكشف عن زيف الباطل ؛ بأن تفقد نفسها لمعرفة حقيقة وحدة الكون عن طريق معرفة قوانين الطبيعة العلمية ، وعن طريق إنكار الذات وفعل الخير وتحذير النفس من الشهوات الدنيئة والرغبات المنحطة وعن طريق ملاشاة فرديتها فى اللانهاية ؛ فيجرى فيها ذلك الحب الذى يجعلها تدرك حقيقة الجوهر الكامن فيها ، وتعلم أنها فى وحدة تامة مع الله والطبيعة ، وتفوز آخر الأمر بكمالها .

يفهم مما تقدم أن معرفة حقيقة اتحاد الكائنات الشامل هو السبيل الوحيد لكمال النفس الإنسانية ، التى لا يمكن أن تدرك هذه الحقيقة الكبرى إدراكا عميقاً صادقاً ، إلا إذا تكشفت لها أولا ما تحتوى عليه هذه الحقيقة الكبرى من حقائق صغرى متعددة ، ينطوى كل منها على أحداث متشابهة لا نهاية لها ، لأن معرفة هذه الحقائق الصغرى ، فضلا عن أنها تغنينا عن جمع أحداث متشابهة تشغل الذاكرة ، ولا تزيد من معرفة النفس شيئاً ، ولا تؤدى إلى معرفة شىء سواها ؛ فإنها تمهد لنا السبل إلى إدراك الحقيقة الكبرى التى تعتبر كل حقيقة صغرى وجهاً من وجوهها . فإن معرفة قانون الجاذبية مثلا ، لا يحوجنا إلى جمع أحداث تماثل سقوط التفاحة من الشجرة ونزول المطر على الأرض ؛ ونضع أيدينا على حقيقة عامة تفتح آفاقاً تقودنا إلى اللانهاية التى تبلغ كل الحقائق الصغرى العامة .

فإن معرفة قوانين الطبيعة على ذلك ، والجد فى الكشف عن ما جهل منها ، أمر ضرورى يمهد لنا إدراك حقيقة اتحاد الطبيعة بالله ، ومعرفة وحدة القانون فى وجوه الطبيعة المختلفة أى أن طلب العلم لا يقصد به مجرد التثقيف وتوسيع أفق المعرفة أو أن معرفة قوانين الطبيعة ليست هى فى ذاتها غاية بحثنا فى العلوم فإن قانون الجاذبية يعنى أكثر من سقوط تفاحة على الأرض ، وأن قانون تطور الأنواع يعنى أكثر من تعاقب المخلوقات ؛ إذ أن معرفة مثل هذه القوانين يفسح لنا الطريق للاندماج فى مكونات الطبيعة والاتحاد بمحتوياتها المتنوعة ، فنحس أن هناك جسما شاملا واحداً عالياً ، ونشعر أن هذه القوانين الطبيعية تشملنا وترتبط بنا برباط واحد ، وندرك أن أجسادنا وأعضاءنا أشياء عالية ، وأن البخار والكهرباء من أعصابنا وعضلاتنا ، فنعرف أن هذا العالم جميعه ما هو إلا جسم واحد ممتد لنا .

فالقوانين الطبيعية لا تنفصل عنا ، وتدل على أن هناك صلة وثيقة بين الإنسان والطبيعة ، فهى ملك لنا ، ومعرفتها تمدنا بالقوة المعنوية إذا اتخذناها سبيلا للاتحاد بسائر الأشياء ، وتضمننا إذا استخدمناها فى مقاومة أغراض الطبيعة فى الحياة . إذ لو انصرف العلم إلى تسخير هذا العالم لخدمتنا ، وبسط نفوذ الإنسان على كل ما يحيط به ، ونصره على سائر الدوائر التى تعرقل مكافحته للطبيعة ، أو تحول دون استعباده لشعوب الأمم الأخرى ، لفقد قيمته الحقيقية ، وبعد عن غايته الصحيحة ، وخضع لشهوات الإنسان الدنيئة التى تفسد الانتفاع بالعلم ، وتدفع الإنسان إلى القوة والوحشية والجشع ، فترتكب الجرائم ، وتندلع الحروب ، فيعم الخوف والهلع والقلق والاضطراب ، أما إذا قصد بالعلم الاندماج فى موجودات الكون ، والاتحاد باللانهاية ، والخضوع لإرادة الله ، لتجردت روح الإنسان وأمحت حقيقتها فى الحقيقة الكبرى ، فتتمتع بالحب ، وتنعم بالسرور والغبطة .

ثانياً : وما فهمه طاغور عن النفس من الكتب الهندوسية المقدسة ، وكتب حكماء الهند ، يشابه ما فهمه منها عن الإرادة فإن قال إن للنفس وجوداً مستقلا عن الكون المتحد ، فإنه يقول أيضاً إن للارادة حرية السيادة على شئون عالمنا الصغير . وإذا ذكر أن استقلال النفس المطلق وهم باطل ، وفى المظهر ، وأنها جزء من أجزاء الوجود المتحد ، وتسمو وجودها من الله ، فإنه يذكر كذلك أن حرية الإرادة المطلقة وهم باطل ، وفى المظهر ، وأنها لا تعمل إلا فى حدود ، وأنها جزء من إرادة اللامتناهى وملكا له

البقية فى العدد القادم

عبد العزيز محمد الزكى

٣ — مدى الثقة فى هيئة الأمم المتحدة :

حق الاعتراض « الفيتو »

من المبادئ المقررة أن للقانون الدولى أيضاً أشخاصه ورعاياه تسرى عليهم أحكامه التى يخضعون لها ويحترمونها ، وقد تعددت آراء الفقهاء حول طبيعة هؤلاء الأشخاص ، فقالوا بأنهم الأفراد العاديون فى رأى ، وبأنهم الدول فى رأى ثان ، وبأنهم الأفراد مجتمعين فى دولهم فى رأى ثالث ، وهناك آراء أخرى نضرب عنها صفحاً لنذكر أن الاتجاه الغالب هو أن شخص القانون الدولى هو الدولة ، وما دام الأفراد متساوين أمام القانون العادى كذلك تتمتع دول العالم بالمساواة صغيرها وكبيرها ، فترى القانون الدولى يعلن ذلك صراحة ، وتأتى الوثائق الدولية فتكرر حق المساواة ، ومن بينها ميثاق هيئة الأمم المتحدة الذى أكد فى ديباجته الإيمان بالحقوق الأساسية للانسان وبكرامة الفرد وقدره ، وبما للرجال وللنساء وللأمم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية ، والذى جاء ضمن مبادئه أن الهيئة تقوم على مبدأ المساواة فى السيادة بين جميع أعضائها .

ولكن هذه المساواة التى تكلمنا عنها لا تعدو مساواة الدول أمام القانون ، فإذا ما خرجنا بها إلى ميدان الحقائق العملية وإلى حيز الواقع والتطبيق ، نجدها تتلاشى أمام حقيقة لا مراء فيها : وهى أن هناك دولا قوية تهيمن ، وأخرى صغيرة تذعن ، والقوة هنا هى قوة المصالح ، ولم يفت الفقهاء وهم يتغنون على حق المساواة أن يشيروا إلى هذه الحقيقة الواضحة ، ويجدوا لها تطبيقات عدة حتى فى عصبة الأمم نفسها ، حيث كانت الدول الصغيرة تفسح الطريق لسيطرة الدول القوية عليها فى بعض اللجان ، وذلك لشعورها بقوة مصالحها فيما يختص بالغرض الذى أنشئت من أجله هذه اللجان ، وتبدو مظاهر هذه السيطرة مثلا فى مسألة التصويت على القرارات كى تكتسب قوة التنفيذ ، فيكون للدولة القوية صوتان أو أكثر وللدولة الصغيرة صوت واحد ، وقد يشترط لتنفيذ القرارات أن تؤيدها الدول القوية ، ولو كان لكل منها صوت واحد . إن الحديث عن هذه المظاهر يمتد إلى نواح عديدة ... وكلها شاهد على أن نزعة السيطرة والغلبة ، وقد تكون الأثرة ما زالت هى الغالبة فى مجالات السياسة الدولية ، فالعقلية المضحية التى تفهم المساواة على وضعها الصحيح لم توجد بعد ، ولا يخلو ميثاق هيئة الأمم المتحدة من مواضع كثيرة يمكن نقده فيها على ضوء ما تقدم والصورة القوية البارزة لذلك يمكن البحث عنها فى مجلس الأمن وهو الأداة التنفيذية للهيئة .

وسيجد القارىء للميثاق طلبته فى مشكلة التصويت حيث تطرح الدول القوية جانباً مسوح الرهبان لتكشف عن حديدها ونارها إذ أن هذه المشكلة من المواطن شديدة الحساسية التى تثير فى أدق صورها علاقة الدول العظمى بعضها ببعض ثم علاقة الدول العظمى بالدول الصغرى وتكييف تلك العلاقات .

وقد اتفق فى « يالتا » على مبدأ إجماع الدول العظمى عند اتخاذ قرار فى أعمال العنف التى تتخذ ضد دولة تقوم بعمل من أعمال العدوان . . ولكن قام الخلاف على إجراءات التصويت فى المسائل الأخرى . . فبقيت المسألة دون حل ، حتى انعقد مؤتمر « يالتا » فى فبراير سنة ١٩٤٥ وقام الرئيس « روزفلت » بإزالة ما كان هنالك من تعارض فى وجهات النظر فوضع اقتراحاً حاز قبولا من كل من « الرفيق ستالين » « وتشرشل » كما عرض على فرنسا والصين فوافقتا عليه . . وتقضى قواعد التصويت التى اجتمع عليها الأقطاب فى يالتا بأن يكتفى بأغلبية سبعة أصوات من أحد عشر صوتاً بالنسبة لجميع قرارات المجلس على أن يكون من بين هذه الأغلبية أصوات الدول الخمس العظمى مجتمعة . . . وهذه القاعدة لا يرد عليها سوى استثنائين : الأول يتعلق بالإجراءات ويكتفى فيها بأغلبية سبعة أصوات دون تمييز بين الأعضاء الدائمين وغيرهم

والثانى يختص بأى نزاع يعرض على المجلس وتكون إحدى الدول الأعضاء طرفاً فيها فيجب عليها الامتناع عن التصويت .

غير أن الخلاف بين الدول قام فى مؤتمر « سان فرنسيسكو » حول هذا القرار وحاولت الدول الصغرى وكانت تزعمها أستراليا

محاولة صادقة فى سبيل تعديله لأنه يتفرع عن هذا القرار أنه يكفى أن تمتنع إحدى الدول العظمى عن التصويت أو تعارض القرار وهذا هو حق الاعتراض أو الفيتو الذى يستحيل على مجلس الأمن إصدار القرار المراد إصداره ..

ولقد ندت الدول الصغرى بحق الفيتو هذا ووصفته بأنه سيف مصلت فوق الرءوس وأن أحكام القانون والعدالة وحقوق الدول فى الحرية والمساواة والسيادة ستصير كلها كلمات جوفاء يمكن لأية دولة عظمى أن لا تعيرها اهتماماً طالما كان فى يدها هذا السلاح الذى تنهار أمامه جميع الادعاءات .

ورغم هذا الدفاع العادل فقد باءت محاولات الدول الصغرى بالفشل .. واكتفت بتأكيد أصدرته الدول العظمى أثناء المناقشة ومفاده أنها فى استعمال حقوقها فى التصويت سيحدوها دائماً الإحساس بتبعاتها نحو الدول الصغرى وأنها ان تستعمل حق الاعتراض إلا فى أضيق الحدود .

نستطيع أن نفهم إذن مما تقدم أن حق الاعتراض هو — أولا — نص من نصوص ميثاق هيئة الأمم جاءت به المادة السابعة والعشرون ، وأنه — ثانياً — ميزة تمتاز بها الدول الكبرى وتحرص عليها أشد الحرص .

ولما كان هذا الحق نصاً من نصوص الميثاق ، فهو — كبقية النصوص — معرض للتفسيرات المغرضة التى تتلاءم مع أهواء كل من الكتلتين ، الشرقية والغربية ، وكان من المحتوم أن يثور حوله الخلاف ويكثر الجدل لا سيما أنه يعد من أهم النصوص بل أقواها على الإطلاق .

استعملته الكتلة الشرقية فى مسألة البلقان وحدها ثلاث مرات ، ولا شك أنها بذلك قد فوتت على غريمتها أغراضها وخططها الأمر الذى أثار حفيظتها ودفعها هى الأخرى إلى استعماله أخذاً بالثأر والانتقام ... ولعله من المؤسف حقاً أن تكون اندونيسيا ضحية للاستعمال السيء لحق الاعتراض مما حرك سخط الضمائر الحرة على الكتلة الغربية التى كانت تلوح به أيضاً أثناء نظر القضية المصرية .

ومهما تكن الآراء فإن من الحق أن الدول العظمى قد نقضت وعدها السابق ، وأصبحت تستعمل حق الاعتراض طوع الأهواء والشهوات ، ولعل أعظم دليل على ذلك ما حدث ومازال يحدث فى طلبات الانضمام إلى هيئة الأمم ، وكان من جراء ذلك كله أن تعود صيحات الدول — لا سيما الكتلة الغربية — منددة بسوء استعمال حق الاعتراض فى اجتماع الدورة الحالية للجمعية العامة . فارتفعت صيحة تقول : إن استعمال الدول الكبرى لحق الفيتو قد شل العمل فى سبيل تحقيق السلام العالمى ، وأن ثمة خطراً من إساءة استعماله مما قد يجعل استتباب السلام مستحيلا .

وبجاوبت أخرى تقول إنه ليس من المثالاة فى شىء أن بناء هيئة الأمم المتحدة لابد أن ينهار يوماً ما بفعل الضربات المستمرة التى تصيبه من معول الفيتو ، وأنه ينبغى أن يختار العالم بين هيئة الأمم المتحدة والفيتو إذ لا قبل لنا بهما معاً ولا بد أن نفقد الإثنين عما قريب .

ورغم أن الأرجنتين هى التى أثارت هذه القضية فى الجمعية العامة إلا أن الولايات المتحدة هى التى تزعمت الحركة المناهضة ، واقترح « مارشال » وزير خارجيتها فى خطابه الذى ألقاه أن تقوم « هيئة تنفيذية للسلم والأمن الدولى » تتكون من جميع أعضاء الجمعية العامة ، وهذا الاقتراح خطير جداً نستطيع أن نفهم منه أشياء كثيرة .

وتبدو خطورته جلية إذا ما عرفنا أن لمجلس الأمن اختصاصين : يتعلق الأول منهما بحل المنازعات حلا سلمياً أو بعبارة أدق حل المنازعات التى يكون من شأن استمرارها تعريض السلم والأمن الدولى للخطر ، ويختص الثانى بالأحوال التى يقع فيها تهديد للسلم أو إخلال به أو حصول عدوان معين .

وعلى ذلك يكون هدف مارشال أن ينتزع الاختصاص الأول لمجلس الأمن لتقوم به الهيئة التنفيذية المقترحة ، وإذا عرفنا أن حق الاعتراض هو السائد فى جميع أعمال مجلس الأمن بنوعيها استطعنا أن نفهم أن الاقتراح يرمى إلى إبعاد حق الاعتراض عن المسائل التى من الاختصاص الأول لمجلس الأمن والتى يراد إلحاقها بالهيئة المقترحة وهى المسائل المتعلقة بالسلم والأمن الدولى

ثم قصر هذا الحق على الاختصاص الثانى أو ما عبر عنه مارشال بالحالات التى تضطر فيها هيئة الأمم المتحدة إلى اتخاذ إجراءات عسكرية أو اقتصادية . ولعل من المفيد أن نقدم للقارىء بعض فقرات من خطاب مارشال يشرح فيها وجهة نظره فيما يتعلق بهذا الاقتراح حين قال :

« إنه يتسنى بذلك أن نبعد تهديد استعمال الفيتو فى المسائل التى تشير إليها المادة السادسة من الميثاق وهى التى تنص على حل الخلافات حلا سلمياً وإن حق الفيتو قد منع مجلس الأمن من القيام بوظيفته الحقيقية . .

ومن العجيب أن تكون الولايات المتحدة هى التى اقترحت نص الفيتو ، وهى نفسها التى تحمل عليه الآن حملة شعواء . . والتعليل لذلك التناقض قد وضعناه من قبل فى يد القارىء : وهو ذلك التنافس المرذول بين الكتلتين الشرقية والغربية على مصير العالم التعيس . إن نصوص الميثاق لا تفسر أو تطبق حسب مقتضى المنطق والعقل ولكن تجتهد كل كتلة فى أن تفسرها بما يتفق مع مصالحها وينزل بالطرف الآخر أشد الإضرار ، ويعلم الدارسون للقانون أن العلاقات الدولية ما زالت فى دور الطفولة وكان الواجب أن نبعد النصوص الخطرة من تنظيم هذه العلاقات كما نبعد الألعاب الخطرة عن متناول أطفالنا .

لقد قلنا إن حق الاعتراض ميزة تعتز بها الدول الكبرى وتحرص عليها أشد الحرص لأنه بمثابة سلاح فى يدها تمزق به الدول الصغرى كلما احتاجت إلى طعام جديد ، فالولايات المتحدة تريد إبقاءه مع تقييده وتحديده بالحدود التى ذكرناها ، وروسيا السوفيتية تجاهد فى إبقاء النص كما هو دون تغيير أو تعديل ، وبريطانيا — كما جاء على لسان رئيس وفدها فى الجمعية العامة — لن تقترح إلغاء حق الفيتو ولكنها تشعر فقط بأن هذا الحق قد أسىء استعماله ، وليس علاج ذلك تغيير ميثاق هيئة الأمم المتحدة ولكن معرفة ما إذا كان العالم يؤيد بريطانيا فى اعتقادها بأن حق الفيتو قد أسىء استعماله أم لا ؟ !

وبهذه المناسبة نقول إن اقتراح مارشال يقوم بذاته دليلا على أن بناء ميثاق هيئة الأمم لم يقم على دعائم ثابتة ، وأن مجرد الحديث

٢٨ ، ٢٩

ألحـــان ثائرة

« مهداة إلى الصديق القديم محمود فهمى النقراشى »

أنى عن وجهها الغضوب النقابا ... لا تخاصم إلى الذئاب الذئابا
أمرَ الأمرُ فادّرعهم شيوخاً ... عاقروا الصبر ، وادّرعهم شبابا
وأدرك لحنك الذى أيقظ الثو ... رة ، واخترق صَهْدهَ الأعصابا
نحن فى عالم تحيفه الشك ... وضل الصواب فيه الصوابا
أمة تنشد السلام ... فيا با ... لحمام السلام أمسى غرابا ؟ !
أى أمثولة أصم بها الدا ... عى وإن هاج ثائرين غضابى
معبد صور العدالة فى الأر ... ض إلها ، والأمن فيها نصابا . !
ما لرهبانه العجائز كانوا ... أول الملحدين لما أهابا ... !
ما لألحانه الجميلة باتت ... فوق أطلاله بكا ونُعابا ؟ !
إنما نحن أمة تمضغ الحق ... د فيا بالنا نعاف اللُّهابا
وإذا الحق لم يصادف سميعاً ... أوشك الحق أن يحول احترابا

* * *

ليس فى شرعة الطواغيت غير النـــار رباً ، وغيرها محرابا . !
والذى يطلب الحياة سلاماً ... كالذى يطلب الحياة سرابا
ذل من ركب الرجاء وفى كفـ ... ـيه ظفر يذود .. ذل وخابا

طاهر محمد أبو فاشا

عن تغيير الميثاق أو تعديله مبدعاة لأن توزن الثقة به من جديد .

إننا لا نريد بقاء هذا السلاح فى يد خمس دول لترهب به بقية دول العالم بل إن مصير الإنسانية أجل من أن تتحكم فيه شرذمة تنساق وراء أهوائها وشهواتها . والرأى الصائب أن تتمسك الدول بمبدأ المساواة فى السيادة ، وحكم الأغلبية فى تنفيذ القرارات ، وألا تدع لأية قوة سبيلا عليها سوى سلطان القانون والعدالة .

وأكرر فى الختام أن هناك بعض المآخذ الأخرى على هيئة الأمم ويمكن جمعها تحت عنوان « بوليس الأمن الدولى » فإلى اللقاء .

عبد الحميد عثمان عبد الحميد
كلية الحقوق

من خوف الكوليرا فى كوليرا !

دخلت أزور ابن عم لى فى داره فلقيتنى زوجه فى الدهليز وما وقع بصرها على حتى قالت وهى تضحك : هلم فهذا منظر خليق بأن تراه من وراء منظارك ، ولقد خطرت ببالى الساعة وأنت على السلم ؛ وقادتنى إلى حجرة الطعام حيث كان زوجها يتهيأ لتناول عشائه .

ودخلت فى سكون ولم أحى فلم ينتبه إلى ، ونظرت فإذا بالمسكين يجلس إلى المائدة وقد وضع رجله اليمنى فى « حلة » على الأرض عن يمين مقعده تبينت فيها سائلا ما ورجله اليسرى فى « حلة » أخرى عن شماله وهو يغسل يديه فى وعاء على خوان قريب منه وعلى صفحة وجهه سحابة مركومة من الهم ، وضحكت وضحكت زوجته فرفع رأسه وابتسم ابتسامة ضئيلة لم تلبث أن غرقت فى هذا السحاب المركوم ، وأراد أن ينهض فلم يستطع لبعد ما بين الحلتين ، ثم قال فى إشارة حازمة وفى لهجة جازمة : لا تؤاخذنى أرجو أن تغسل يديك فى هذا الوعاء ، ونظر إلى زوجته نظرة عتب وسألها لم لم تطلب إلى أن أغسل يدى فى الوعاء الخارجى لدى الباب ، وكأنه لم يعجبه ضحكها فى هذا الموطن ، موطن الجد الرهيب فطلب إليها فى شىء من العنف أن تغسل يدها ، وفهمت أن ذلك لأنها سلمت على ، فشت حمرة خفيفة فى محياها الأبلج ولم تجد بداً من إطاعته إشفاقاً عليه كما قالت مداعبة إياه فى رفق ...

وراحت ربة البيت تشرح لى هذه الوسائل التى يغمس فيها رجليه ويديه ، وتضحك إذ تقص على كيف يغسل يديه كلما لمس شيئاً ، وكيف يدعو بائع اللبن وبائع الصحف وغيرهما إلى غسل أيديهم قبل أن يناولوه شيئاً وكيف لا يفوته كلما نقص وعاء الغسيل لدى الباب أن يملأه بالمحلول ...

وينظر إليها زوجها إذ تضحك فيمتلىء غيظاً ويسألها كيف لا تدرك وهى الثقفة الهذبة أن الأمر جد لا هزل ، وفهم هذا الضحك الذى ينطوى على عدم المبالاة والذى يفهم منه أنها لن تعمل فى غيبته شيئاً مما يدعوها إليه من وقاية ؟

ولم تغب عن منظارى بقية « الاستحكامات » فى الحجرة فهذه مضخة قريبة بها من السائل كيت وكيت ، وتلك أخرى بها من المساحيق كيت وكيت ، وثالثة ينطلق منها إذا فتحت غبار كثيف لمطاردة الذباب ، وكم ذكرتنى بشبيهاتها من المدافع التى كانت تنصب لمطاردة الطائرات زمن الحرب . .

ونظر رب الدار فإذا أحد الأطباق يظهر جانب منه من تحت الغطاء القماشى فتأفف ونظر فى وجه امرأته نظرة حنق وسحب القماش فغطى الطبق ؛ وسألته فيم هذا الغطاء ؟ فنظر إلى وكأنه ينظر إلى معتوه ثم قال ، ألا ترى أن ذبابة واحدة كفيلة بأن تقتل من فى المنزل جميعاً بل من فى الحى كله إذا وقعت على الطعام ؟ فقلت : إذا كان هذا مبلغ خوفك من الذباب فى الليل وهذه المدافع من حولك فليلطف بك الله فى النهار !

وضحكت زوجته ضحكة عالية ثم نظرت إليه معاتبة وما تريد إلا أن تسرى عنه وقالت : أتذكر الحرب ؟ صور لنفسك إحدى طوائر الألمان المنقضة وقد هبطت من السماء على دارك فهذا هو شأنه تلقاء ذبابة مسكينة من الذباب .

وما أتمت كلامها حتى نظر إليها وراح يقلد لهجتها ونطقها مستهزءاً وهو يقول : ذبابة مسكينة من الذباب ! المسكين أنت ! لقد كان من المخابىء عاصم من الطائرات وما الذى يعصمنا من ذبابتك المسكينة ؟

وقلت له ما الذبابة بمسكينة ولا زوجتك بمسكينة ، وإنما أنت المسكين فهذا عذاب ليس مثله عذاب ؛ وضحكنا جميعاً وكشف الغطاء عن الطعام ليأكل ، وقمنا نداعبه فوقفت عن يمينه وفى يدى إحدى المضختين وقامت زوجته عن يساره وفى يديها المضخة الأخرى ، وكلما ابتلع لقمة حمد الله ونحن ندعوه إلى الطمأنينة فلن نسمح للذبابة أن تقرب من المائدة حتى يفرغ من طعامه ...

وانصرفت ، وفى نفسى أنى لن أرى من هو أشد من ابن عمى وهماً ؛ ولكن منظارى وقف بى فى صباح اليوم التالى على منظر أنقله للقارىء فى غير نقص أو زيادة :

انحنت عجوز أمام باب إحدى جرائدنا الكبرى وراحت تقيىء وفزع الناس بالضرورة وابتعدوا عنها واقترح بعضهم طلب الإسعاف ؛ ومر شاب وجيه المظهر بادى القوة كثير الأناقة ،

هـــــذا الطوفان . . !

للأديب الطاهر أحمـــد مكى

كنا جماعة ، وكان الحديث عن الأدب ... تقلب الرأى فى طغيان الأدب الرخيص على العالى ، وعدوان العامية على العربية ، واحتلال المجلات الهزلية لعقول الناشئة ، والصحف اليومية لجمهور المثقفين ... وبقاء أدوات الفن الرفيع من مجلات وكتب ، محصورة فى دائرة ضيقة من الذيوع والانتشار ! لأنها لا تتمشى من الغرائز ، ولا تخضع لرأى العامة ، ولا تهبط لمستوى الدهماء ، ولا تستجلب رضا القراء ، بصورة عارية ، أو مقال مثير ! . .

وقد فرغت العجوز من قيئها فخيل إليه أنه مس بحذائه هذا القيء بعد أن فطن إلى أنها كانت تقيء فكأنما نزلت به صاعقة من السماء ، ونظرتُ فاذا صفرة كصفرة الموت تمشى فى محياه وإذ العرق يلتمع فى جبينه ونظر إلى الناس لهفان كأنما يستنجدهم ، ولبث فى مكانه لحظة لا يدرى ما ذا يفعل ، ثم مر قريباً منه « تاكسى » فاستوقفه ومد يده نخلع حذاءه وجوربه فى حذر بحيث لا يمس إلا وجهه ، ثم مشى حافياً ودخل السيارة وانطلق وترك الحذاء الجميل والجورب الثمين حيث كان يقف ولم يلتفت إليه لفتة كأنما يخشى حتى مجرد منظره !

وكم كان يبعث على الضحك منظر السابلة بعد ذلك إذ يلقون نظراتهم على هذا الحذاء فى تعجب وهم لا يعلمون لم ألقى به هناك وبما ذا يفسر وجوده ، وكان يمشى بعضهم فى سكون ودهشة بينما كان يستفهم البعض أحد الواقفين ، واجتمع عدد من الخلق فمنهم من ينظر إلى العجوز ومنهم من ينظر إلى الحذاء ، واختلط الأمر على الناس حتى لقد سمعت من كانوا فى مؤخرة الزحمة يقول إنها قتيلة ! ووثق بعضهم من الأمر فراح يصف طولها وحجمها وشكلها ! وهكذا ينقلب الحذاء الجميل الهادىء إلى نوع مفزع من من المفرقعات !..

وذكرت ليلة الأمس ومبلغ خوف ابن عمي ، وحرت بين البطلين أيهما أولى بالرثاء ، أهو ابن العم أم هو صاحب الحذاء ؟

الخفيف

والناس اليوم فى انحلال خلق ، مصدره قسوة الحرمان فى أيام الحرب وأعقاب الحرب ، واستهتار جنسى مبعثه إطلاق العنان للغرائز ، واستسلام الفتيان للشهوات وتسرب الإباحية إلى العقول واندفاع الصحف التى همها أن تربح عن أى طريق ، وأن تعيش بأى أسلوب ، فى ممالأة هذا اللون من الحياة !

طالع ما تشاء من صحف اليوم ، واقرأ ما تهوى من كتبه ، فلن تجد للعربية فى بلاغتها وروعتها أثراً ولن تشعر بالنعمة الروحية السامية ، التى تطرب لها حين تلتمس القراءة ، فى كتاب قديم ، أو سفر حديث ، من إنتاج أولئك النفر القليل ، من كتاب العربية الأفاضل ، ممن صمدوا أمام التيار ، فلم يجذبهم بريق الذهب اللامع ، ولم يجرفهم تيار المادة الخادع ، فظلوا كما هم ، وكما شاء لهم إيمانهم بالفن ورسالته ، أوفياء بالعهد ، حفظاء للرسالة ، ولو كره الجاهلون وأنصاف المتعلمين !..

إن المطابع قد أغرقت السوق بطوفان من الكتب ، جلها غثيث تافه لأن صاحبه طالب شهرة ، لا يمنيه إلا أن يطبع اسمه فى مكان بارز من غلاف الكتاب ، وسيان لديه أن يرحب به الناس أو يغضبوا عليه مادام قد بلغ الغاية التى سعى إليها ، فأقحم شخصه فى زمرة المؤلفين ! .

وتجاريين تخصصوا فى اقتناص المال من الجيوب ، بالحيلة الواسعة ، والدهاء الماكر ، وحذقوا فن التلصص وأساليبه ، وكان أن لمسوا مركب النقص فى الحياة المصرية ، وما تعانيه الشبيبة من حرمان وكبت ، فطفقوا يغرقون الأنظار بطوفان من الصور العارية ، ويؤججون الشهوات بأبحاث عن الرذيلة الفاتنة ، ومن ثم كتب لهم النجاح ، وإن يكن ثمنه ، فساد ضمائر الشباب ، وإهدار عفاف الفتيات !..

محال أن يوقف هذا الفيض من الانحلال ، أقراد قلائل أو صحف محدودة الذيوع والانتشار ، فعلى الذين يملكون التشريع والتنفيذ ، وقد استعملوهما فى كل ما يتصل بماديات الحياة ، أن يعطوا الناحية الروحية بعض العناية ، فنحفظ للغتنا سموها ، ولأدبنا روعته ، ولأخلاقنا جمالها ، فنسدى بذلك للعربية ، فضلا لا ينكر ولا يجحد !..

الطاهر أحمد مكى

تعقيبات

عقليتنا المستعمرة !!

في المؤتمر الثقافي العربي الذي عقد أخيراً في لبنان ، اقترح أحد الأعضاء أن يرسل المؤتمر بكتاب إلى مجلس الأمن يؤيد به قضيتي مصر وفلسطين ، فنهض له الأستاذ فؤاد أفرام البستاني ورد اقتراحه بأن المؤتمر ثقافي ولا سياسي ، فليس من شأنه أن يرسل بهذا الكتاب ولا من مهمته أن يقتحم هذه الأمور التي هي من شأن رجال السياسة .. فقال الراوي وكاد الأمر أن يتطور أو يتهور . لولا أن الأستاذ إسمعيل القباني بك رئيس وفد مصر حسم الأمر بلباقته فطلب تحويل كافة الاقتراحات إلى اللجان الخاصة ..

وليس هذا بالأمر الغريب ، ولا هو مما يثير الدهشة ، فإننا أبناء الشرق العربي قد مُنينا بالاستعمار الفاجر دهراً فهدم كياننا ، وحطم قوميتنا ، وحلل شخصيتنا ، وكانت خدعته الكبرى في ذلك أن أقنعنا بأن الدين شيء لا يتصل بالدنيا ، وأن العلم شأن غير السياسة ، وأن السياسة خطة غير الوطنية ، وأن الوطنية هي أن يجد الإنسان ما يملأ به بطنه . . وهكذا أصبحنا نحيا الحياة ، إذا أخذنا في ناحية منها فإننا نستدبر جميع النواحي الأخرى ولا يمكن أن نجمع في ذلك بين طرف وطرف ، وليس رأي أخينا أفرام البستاني إلا أثراً من آثار تلك الخدعة الاستعمارية التي نكبنا بها الاستعمار اللئيم ..

ألا ليت الأستاذ أفرام يقول لنا ما قيمة هذه الثقافة وما جدواها وما حاجتنا إليها إذا لم تحقق لنا حياة حرة كريمة ، وإذا لم تحقق تلك العقبات التي تعترض طريقنا وتذل أعناقنا ، وإذا لم تفعم نفوسنا بالقوة والشجاعة والبطولة ، وإذا لم تخلق لنا شخصية واضحة وقومية متميزة ، وإذا لم تكن صلتنا بالحياة وطريقنا إلى المستقبل وسلاحنا الذي نكافح به الظلم ، أجل ! ماذا تكون الثقافة إذا لم يكن كل هذا أثراً من آثارها في حياتنا ونهوضنا وفي نفوسنا وقلوبنا ؟ !

لقد رأينا في الحرب الماضية كيف كان العلماء يبذلون علمهم ويرهفون قرائحهم في سبيل نصرة أممهم ، وكيف كان رجال الفكر والفهم يتصدون للدفاع عن أوطانهم ويخاطرون في ذلك أكثر مما يخاطر الجنود ... بل نحن أبناء الشرق ندرك ونعرف أن الاستعمار لم يكن يسير في أي بلد من بلادنا إلا وراء خطوات مستشرق يتخذ العلم وسيلة للتحكم أو وراء مستكشف يجعل الإستكشاف طليعة للتملك ، أو وراء مدارس وجامعات ينشئون فيها أبناءنا على هواهم ، ويبثون بها في نفوسنا من العقائد مثل ما يعتقد « السيد أفرام » من أن الثقافة لا شأن لها بالسياسة ..

إننا نجاهد للتحرر من الاستعمار السياسي والاقتصادي ، وسنفوز بذلك لا شك ، وإن التحرر منها على الله لأسهل وأيسر من التحرر من استعمار آخر يكرب نفوسنا ويبخر في عظامنا إلا وهو الاستعمار العقلي الذي يجب علينا أن نقاومه ونطارده وأن نعلن عليه حرباً لا هوادة فيها ، فإنه السم القاتل والداء الدفين ..

الآباء والأبناء :

وقع في يدي تقرير اللجنة الأولى للمؤتمر الثقافي العربي فرأيت فيه اتجاهاً طيباً يدعو إلى الغبطة ويبشر بخير كثير ، فقد أشار « بأن تكون الدراسات الاجتماعية أساساً لتدريس التربية الوطنية ، على أن يشمل هذا الأساس إبراز الاتصال الجغرافي التام بين البلاد العربية وما كان لذلك من دور خطير في قيام الحضارات وتقدم الإنسانية ، » كما تضمن الإشارة إلى الواجب في « إبراز دور الإمبراطورية العربية في التاريخ ، وتوضيح الفكرة في أن العروبة لم تكن لدين ما ، بل إنها كانت ولا تزال أمانة في عنق كل عربي ، وأن التعصب لم يعرف في البلاد العربية إلا في العصور التي حكم فيها الأجانب » ثم ينوه التقدير « بالأخوة في العروبة والدعوة إلى التكتل والعمل على التذكير الدائم بمساوىء الاستعمار وضرورة اتخاذ النظام الديمقراطي أساساً في تنشئة الطلاب » .

وبعد أن أشارت اللجنة في تقريرها هذا إلى ضرورة تدريب

الطلبة على أساليب الحياة المختلفة فى ميادين التعاون الاجتماعى والرياضى والكشفى دعت إلى قيام اتحاد للطلبة العرب ومؤتمرات سلم وتحيات كشفية ووضع أناشيد مشتركة وتبادل الطلبة العرب بين الأقطار العربية وإنشاء بيوت لهم فى كل قطر عربى .. »

وما أريد أن أورد كل ما تضمنه ذلك التقرير ، فقد تضمن تفاصيل مطولة ، وهى تفاصيل تلتقى كلها فى رغبة واحدة ، هى تقوية الشعور بالقومية العربية فى نفوس أبناء الجيل الجديد حتى لا تكون الوحدة العربية ميثاقاً مكتوباً فى الورق ، بل تكون دماً يتدفق فى العروق .

إنه كلام طيب جداً ، وإنما العبرة بالتنفيذ القريب ، وحين نبدأ أول خطوة فى هذا السبيل نكون فى الواقع قد بدأنا السير لتحرير عقليتنا من إرضاء الاستعمار .

ولماذا ننسى أنفسنا :

اهتمت الصحف المصرية على اختلاف نزعاتها بتتبع « الكوليرا » كما يسمونها الآن أو « الهيضة » كما كانت تسمى من قبل ، واهتمت إلى جانب ذلك بسرد تاريخ ذلك الوباء اللعين فى مصر ، وما كان له من هجمات عنيفة على المصريين ، ثم ما كان لرجال الطب من جهود صادقة فى مدافعته واكتشاف ميكروبه وتحدثت فى هذا عما كان من حضور الدكتور كوخ الألمانى إلى مصر عام ١٨٨٣ على رأس بعثة طبية لاكتشاف هذا الميكروب وعما كان من وصول بعثة طبية أخرى من معهد باستور بفرنسا لمثل هذا الغرض ، ولكن الصحف المصرية جميعها نسيت فى هذا المقام جهداً مصرياً كان من الواجب أن يذكر ، وكان من الواجب أن يرجع إليه رجال الطب عندنا فسيجدون فيه من التجارب المفيدة والخبرة النافعة ما لا يقل عن تجارب بعثة « كوخ » ولا بعثة « باستور » .

ذلك أنه لما تفشى وباء الكوليرا فى مصر عام ١٨٨٣ م وجاءت البعثات الطبية من الخارج لدراسة أحوال هذا الوباء وإثبات تجاربها عنه عكف المجلس الصحى فى مصر هو الآخر على مثل هذا العمل وأخذ أعضاؤه يوالون البحث والتجربة بشأن هذا الوباء ، وانقسموا فى هذا إلى فريقين : فريق يرى أنه يتولد تولداً ذاتياً متى كانت هناك البيئة التى تساعد على وجوده ونموه ، وفريق يرى أنه لا يظهر فى مكان إلا منقولا إليه من مكان آخر وكان على رأس هذا الفريق الدكتور سالم باشا سالم طبيب المعية الخديوية يومذاك ، وقد جرت مناظرات بين الفريقين كانت أعنف وأشد من المناظرات التى قامت بين « كوخ » وأطباء ألمانيا فى ذلك الوقت ، ولكن الأطباء الألمان أخذوا يوالون البحث حتى وصلوا فى هذا إلى ما نفعوا به الإنسانية وكانت حكومتهم تشجعهم على ذلك بألوف الجنيهات ، أما الذى جرى عندنا فإنه بسبيل العبرة ويدعو إلى العبرة ، ذلك أن الخديوى توفيق خشى يومذاك من امتداد المناظرة بين الفريقين فألغى مجلس الصحة وكفى الله الأطباء شر القتال ..

مضى ما مضى ، فلن يجدى التحسر عليه ، ولكن الذى يدعو إلى الأسف أن ما توصل إليه أطباؤنا يومذاك من نظريات وآراء ، وحققوه من تجارب واختبارات قد طوى كله فى مطاوى النسيان ، وذهب فى خبر كان ، ولو كان رجال العلم عندنا يذكرون أنفسهم ويعتدون بشخصياتهم لكان فى رجال الطب من عكف على موالاة ذلك البحث والبناء على ذلك الأساس الذى وضعه الأطباء المصريون فكان حقق لمصر فى ذلك فخراً لا ينسى .

ولكن أين فى أطبائنا اليوم من يذكر ذلك الجهد ؟ أو يكون عنده شىء من خبره ، أليس من العار أن يكون فى مستشفى الأسكندرية غرفة اسمها « غرفة كوخ » تخلد بها ذكرى ذلك الطبيب الألمانى وزيارته لمصر ، ومع هذا فليس فينا من يذكر شيئاً عن أولئك الأطباء المصريين الذين بذلوا من الجهد ، وأبدوا ما أبدوا من علم واسع وخبرة نافعة وتجارب انتفع بها « كوخ » وغير « كوخ » من الأطباء .

فى ماضينا مواقف لابد أن نبنى عليها حتى تترفع ، إنها مواقف عظيمة مشرفة يمكن أن نعتز بها بين الأمم ، ولكنا مع الأسف أمة تجهل ماضيها وتنسى نفسها !

« الحامظ »

الأدب والفن في أسبوع

خلاف بين الأساتذة :

حينما كتبت الموضوع الذي عنونت له بـ « جدل في الجامعة » بالعدد (٧٤١) من الرسالة — كنت قد سمعت أحاديث عن حال واقعة بين بعض أساتذة كلية الآداب ، قيل إنها أصل الجدل في مسألة الرسالة المقدمة من الأستاذ محمد أحمد خلف الله للحصول على (الدكتوراه) والتي موضوعها (القصص في القرآن)

وقد أمسكت عن الإشارة إلى ذلك الذي سمعته لأني لم أر فيه وقتذاك ما يخرج عن الأمور الشخصية ، وقصدت إلى موضوع الرسالة وما أثير حوله إذ رأيت فيه ما ينبغي من أجله نقل المسألة من حيزها المحلي إلى ميدان الرأي الأدبي العام

ولكن الأستاذ خلف الله أشار في آخر مقاله بالعدد الماضي الذي أوضح فيه بعض ما تضمنته رسالته بعد أن قرأ « جدل في الجامعة » — إلى ما كنت قد أمسكت عنه ، وذلك بقوله : « المسألة لا تحتاج هذا الضجيج . لكنها العصبيات وأساتذة الجامعة يتعصبون ويتحزبون كما يتعصب ويتحزب رجال السياسة وإذا كان الأستاذ الخولي قد رفض رسالة الأستاذ المحاسني فيجب أن ترفض رسالة خلف الله »

وتفصيل ذلك — حسب ما سمعته — أن الأستاذ زكي المحاسني كان قد أعد رسالته بإشراف الأستاذ الشايب ، ولما عرضت الرسالة على لجنة من الأساتذة أجازوها إلا الأستاذ أمين الخولي فقد رفضها ، وحدث بعد ذلك أن رفضت رسالة (القصص في القرآن) التي أشرف عليها الأستاذ الخولي ، وهذا هو صاحبها يعلل رفضها ، وهو يرى بهذا التعليل إلى نفي أن الباعث على هذا الرفض ما تضمنته من آراء متطرفة

والذي نستخلصه من كل ذلك أن هناك خلافاً بين كبار الأساتذة في كلية الآداب ، وقد كنا نقول إن الألسنة تمتد بالأقاويل والشائعات . لولا أن مصدراً من هيئة التدريس بالكلية يقرر ذلك ..

والمسألة ذات بال وخطر ، لأن ذلك الخلاف يتدخل في الحكم على رسائل الطلاب ، وهنا هو ما يخرجها عن الحدود الشخصية ، وقد تمتد أثر هذا الخلاف إلى غير الرسائل من تقدير كفايات الطلبة في الامتحانات !

ولا أتقدم أكثر من هذا ، بل أرجع فأقول : أيمكن أن يقع ذلك من أولئك الأساتذة الأعلام وهم يعلمون أنهم مثل عالية للطلبة الذين يضعون مصائرهم بين أيديهم .. ؟

ولكن ما حيلتي .. قد غضضت النظر عما سمعت ، فإذا مدرس بالكلية يصرح به ..

القدر المشترك بين ناشئة العرب :

القدر المشترك من الثقافة العربية الذي يقدم لأبناء العروبة في جميع أقطارها ، هو أحد الغرضين اللذين أعلنت الهيئة التحضيرية للمؤتمر الثقافي العربي أن أعماله تهدف إليهما ، والغرض الثاني هو تحسين طرق تعليم اللغة العربية

وقد وعدت في الأسبوع الماضي أن آتي بما يراه المؤتمر من الطرق والوسائل لتوفير القدر المشترك . وهاك ما وعدت به :

يرى المؤتمر أن الهدف الذي ترمي إليه دراسة القدر المشترك هو إثارة شعور المشاركة بين سكان الأقطار العربية في الحضارة والتاريخ ، وفي منزلتهم من النشاط الدولي الحديث

وهذا القدر ينبغي أن يكون في المرحلة الابتدائية يسيراً ملائماً لمدارك التلاميذ ، ومهداً لقدر أرقى منه في المرحلة الثانوية

ويمكن توفير هذا القدر في المرحلة الابتدائية عن طريق :

١ — الأناشيد : فتختار منها مجموعة تكون موضوعاتها مناسبة لفكرة التعاون العربي والمشاركة في الشعور ، توقع توقيعاً موسيقياً ، ويحفظها بتوقيعها تلاميذ جميع الأقطار العربية

٢ — المحفوظات : تختار قطع سهلة ، يلاحظ فيها أن تكون مما يشيد الأخلاق العربية من نجدة وبطولة وما إليهما ، وأن يكون بعضها لأدباء من الأقطار العربية المختلفة ، مع تعريف بسيط بهم ، وهذه يحفظها جميع التلاميذ

٣ — القصص : فيختار منها عدد يحقق الفكرة السابقة ،

من تصوير الكرم والإباء وعزة النفس وغيرها ، مما يبعث فى نفوس التلاميذ الإعجاب بتاريخ العرب وأبطالهم قدامى ومحدثين

٤ — الطالعـــة : فتتناول بعض كتبها فى كل قطر موضوعات تعين على تقوية الروابط العربية ، كوصف بعض المشاهد والآثار القائمة فى مختلف الأقطار العربية ، وكالحديث عن فضائل العرب وفتوحهم ودولهم ، وثقافاتهم وفنونهم

ويلاحظ أن يدرس هذا فى مرحلة التعليم الابتدائى مؤيداً بالصور والرسوم ، أو مصاحباً للموسيقى ، أو قائماً على التمثيل والحوار ، مما هو مقرر فى أساليب التربية

ويوصى المؤتمر أن يسار فى دراسة القدر المشترك فى المرحلة الثانوية على النهج الذى قرر فى مرحلة التعليم الابتدائى ، مع التوسع فى الثانوى بما يقتضيه فى الدراسة واتساع مدارك التلاميذ وآفاقهم

ويرى المؤتمر أن الاتفاق على منهج واحد لا يكفى لتقريب الثقافة والنهوض باللغة العربية إذا لم يعد لتعليم هذا النهج معلمون على حد كبير من العلم وسعة الأفق والقدرة على التدريس ، ولذا قرر أنه لابد من إنشاء معاهد علمية موحدة النظام فى الأقطار العربية لتخريج ذلك النوع من المعلمين .

ويرى أن القدر المشترك إنما يصلح منهجاً لطلاب الثقافة العامة أما الطلاب الذين يرغبون فى التخصص أو يعدون لتدريس اللغة العربية فيكون لهم منهاج أوسع وأعمق (وأنا لا أدرى لم لا يصلح المنهاج الأوسع الأعمق ليكون قدراً مشتركا بين المتخصصين ومن يعدون للتدريس فى جميع البلاد العربية وخاصة فى المعاهد التى قرر المؤتمر أنه لابد من إنشائها ؟)

ويرى عقد مؤتمرات دورية لمعلمى اللغة العربية تشخص إليها وفودهم من مختلف البلاد للبحث وتبادل الرأى فى أساليب التعليم كى يستفيد بعضهم من تجارب بعض ، وكى يتحدوا فى الوسائل والغايات وينهضوا باللغة العربية وآدابها .

مدى نجاح المؤتمر الثقافى :

وبعد فهذه التوصيات إلى ما عرضناه فى العددين الماضيين من الرسالة ، هى أهم مقررات لجان المؤتمر الثقافى التى وافقت عليها الهيئة العامة للمؤتمر وأوصت بأن تأخذ بها البلاد العربية المختلفة لتوحيد الثقافة بين بنيها ، وكل تلك التوصيات تتجمع فى « القدر المشترك » من حيث التوحيد ، ومن حيث تكوينه من مواد نافعة ، وكان ذلك فى اللغة العربية وفى المواد الاجتماعية لأنها هى التى تتمثل فيها الروابط القومية والثقافية بين البلاد العربية .

ولا شك أن المؤتمر بذلك وضع الخطط الأساسية التى ينبغى أن تسير عليها الثقافة العربية فى المدارس الابتدائية والثانوية ، ولو صرفنا النظر عن المناهج والتفصيلات التى قد يجد فيها متفحص ما لا يروقه ، فإن الذى لا شك فيه أن المؤتمر نجح فى بناء الهيكل العام ، وهذا كسب ليس بالقليل وخاصة إذا لاحظنا أنه البا كورة الثقافية للجامعة العربية ، وقد تم نجاح آخر لا يقل قيمة عن هذا النجاح إن لم يزد عنه ، وهو التقاء هذه الجهرة العظيمة من رجال الفكر فى الأقطار العربية ، وما شعروا به ، بعضهم نحو بعض ، من المودة والأخوة ، وما لمسوه من التجاوب الفكرى بينهم ، وقد وقفت ، من أحاديث المائدين ، على ما ساد اجتماعات اللجان من روح طيبة فى حسن التفاهم والتوافق على الأغراض ، وعلى ما استقبل به اللبنانيون إخوانهم العرب الوافدين عليهم من الحفاوة والترحيب .

ملاحظات على المؤتمر :

على أن كل ذلك لا يمنع من تسجيل الملاحظات الآتية :

١ — قام برنامج المؤتمر على أن له غرضين : تحقيق القدر المشترك ، والنظر فى الوسائل المؤدية إلى تحسين طرق تدريس اللغة العربية . أما الغرض الأول فقد عرفت جهد المؤتمر فيه ، وأما الغرض الثانى فقد أهمل إهمالا ، وكأنى بالمؤتمر قد ضاق به فرأى فى تثاقل أنه لابد من إنشاء معاهد علمية موحدة النظام فى الأقطار العربية لتخريج معلمين للغة العربية ، وأوصى بعقد مؤتمرات دورية لمعلمى اللغة العربية ، وليس هذا ولا ذاك بجهد ناجز فى « تحسين طرق تدريس اللغة العربية » الذى جعله المؤتمر أحد غرضيه .

٢ — كانت الحفلات التى أقيمت للحفاوة بأعضاء المؤتمر عامرة بنشاط أدباء لبنان الذين أفاضوا وأمتعوا بالشعر والنثر

والرجل ، وكان من الطبيعي أن يجاوبهم أدباء مصر ، ولكن الذي حدث أنه لم يعن بتقديم هؤلاء ، واكتفى بنشاط بعض الكبار من وفد مصر ، ولم يخرج عن هذا النطاق إلا الجارم بك

٣ — لم تهيأ لممثلي الصحف الأسباب التي تكفل لهم سرعة الاتصال بصحفهم ، فلم يكن أمامهم إلا البريد الذي يبلغ القاهرة في بضعة أيام . ومن الطريف أن الأنباء التي نشرت عن المؤتمر في خلال انعقاده لم تكن عن طريق المراسلين ، وإنما أخذت أنباء حفلة الافتتاح عن الإذاعة اللبنانية ، أما ما نشر من أخبار المؤتمر بعد ذلك فكانت تتلقاه بالتليفون إدارة الصحافة بالجامعة العربية بالقاهرة ، وتدفعه إلى الصحف فتنشره .

موضوعات السينما والأفلام الخرافية :

قال الأستاذ محمود بيرم التونسي في بيان الموضوعات التي لم تعالجها السينما المصرية بمجلة (الاستديو) : « هي الموضوعات المصرية البحتة ، لأن المشتغلين بالسينما عندنا يأتون روايات أجنبية ويخلعون عنها القبعات ويضعون بدلا منها طرابيش ولاسات وعمائم ، حتى لقد أفهمونا بالقوة أن حياتنا هي هذه الصالونات والحفلات وأننا نفتح بيوتنا للشبان باسم الخطوبات حتى أصبحنا كذلك فعلا ، والجرم الأول يقع على عاتق السينما المصرية لأنها هي التي فرضت علينا هذه الحياة »

ولفتة الأستاذ إلى تأثير السينما بالإيحاء في حياتنا لفتة بارعة والحق أن أصل الداء في هذه الأفلام هو اختطافها من الأفلام الأجنبية على الوجه الذي صوره بيرم .

وقد كثر النعي على ذلك ، وأفاض النقاد في التوجيه إلى ما يجب أن تعالجه السينما من الموضوعات التي عُدّ منها مواقف البطولة في تاريخنا المجيد ، ولكن من توجه ؟ فيظهر أن بعض الناس قد فهم أن هذه المواقف هي تلك الأساطير والقصص الخرافية التي تقوم على الأعمال الخارقة واللامعقولة التي لا يقبلها عاقل ، فظهرت أخيراً عدة أفلام من هذا النوع وليت هذه الحوادث يقصد منها فكرة ترمي إلى هدف يبرر هذا التهريج

وأصل هذه الأفلام هو أصل تلك الروايات التي أفسدت المجتمع ، فإنه يحاول المؤلفون أن يعرضوا صوراً وأحداثاً خرافية على أنها تمثل حياة الشرق ، وقد أخذوها حقاً عن أصول عربية وضعت في أزمان غابرة ، ولكنهم حرفوها عن مواضعها ، فجاءت بعيدة عن حياة الشرق حتى في تلك الأزمان

ثم جاء أصحابنا الذين توجههم فلا يأتون بخير ، فجاروا أو ألفوا على ذلك الغرار ... وإنا لنخشى أن يفسدوا الأذواق بهذا العمل كما أفسدوا المجتمع بتلك الروايات

وأصل الداء كله يرجع إلى العجز عن معالجة موضوعات حياتنا، واستسهال الأخذ والتصوير ؛ والمنتجون يستريحون إلى ذلك ليسره ورخصه وإثارته عواطف السذج والبسطاء . فالسينما المصرية في حاجة إلى أقلام جديدة أكثر من حاجتها إلى وجوه جديدة .

« العباسي »

إعلان

يعلن مجلس مديرية الدقهلية عن حاجته إلى توريد ١ — المطبوعات ٢ — أدوات النظافة ٣ — الأجراس والملاعق الحديدية والقطارات الزنك ٤ — الملابس والأثاث ٥ — ماكينات للنسيج وخامات وعدد لورش الأحذية والنسيج والنجارة والكراسي والخيزران ٦ — عدد وأدوات موسيقية ٧ — خامات الخياطة والتطريز ٨ — أخشاب ٩ — جلود ١٠ قش وخيزران فعلى راغبي الدخول في المناقصة طلب قوائمها من مخازن المجلس على ورقة مدموغة من فئة الثلاثين مليما ودفع ثلاثمائة مليم ثمناً لها بحيث يقدم العطاء برسم المجلس مصحوباً بتأمين إبتدائي قدره (٢ ٪) من قيمة العطاء وقد حددنا ظهر يوم ٢١ / ١٠ / ١٩٤٧ افتتاح المظاريف والمجلس حر في قبول أو رفض أي عطاء بدون إبداء الأسباب ٨٠٦٧

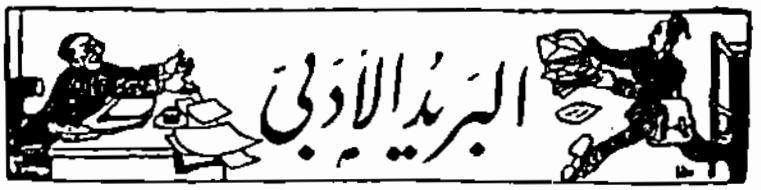

حول جدل فى الجامعة :

تعرض صاحب رسالة (الفن القصصى فى القرآن الكريم) فى كلمته المنشورة بعدد الرسالة الماضي لرأى الأستاذ أحمد أمين بك فى هذه الرسالة ، فرأينا أن ننشر رأى الأستاذ كاملا بنشر تقريره الذى قدمه إلى عميد كلية الآداب وهذا نصه :

حضرة صاحب العزة عميد كلية الآداب .

تحية واحتراماً .

قرأت الرسالة المقدمة من محمد أفندى خلف الله لنيل الدكتوراه وموضوعها « الفن القصصى فى القرآن » والتى تفضلتم فأحلتموها على لقراءتها وإبداء الرأى فيها .

وقد وجدتها رسالة ليست عادية بل هى رسالة خطيرة أساسها أن القصص فى القرآن عمل فنى خاضع لما يخضع له الفن من خلق وابتكار من غير التزام لصدق التاريخ والواقع وأن محمداً فنان بهذا المعنى

وعلى هذا الأساس كتبت كل الرسالة من أولها إلى آخرها وأرى أن من الواجب أن أسوق بعض أمثلة توضح مرامى كاتب الرسالة وكيفية بنائها .

يرى أن القصة فى القرآن لا تلتزم الصدق التاريخى وإنما تتجه كما يتجه الأديب فى تصوير الحادثة تصويراً فنياً بدليل التناقض فى رواية الخبر الواحد .

مثل أن البشرى بالغلام كانت لابراهيم أو لامرأته . بل تكون القصة مخلوقة مثل : وإذا قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت ... الخ ص ١٤ وما بعدها .

الإجابة عن الأسئلة التى كان يوجهها المشركون للنبى ليست تاريخية ولا واقعة وإنما هى تصوير لواقع نفسى عن أحداث مضت أو أعرقت فى القدم سواء كان ذلك الواقع النفسى متفقاً مع الحق والواقع أم مخالفاً له ٢٨

وربما كانت مسألة الجن التى تصور رأى الجاهليين فى تسمع الجن لأخبار السماء ميداناً من الميدان القصصى .

(ابن الخياط)

والقرآن يقرر أن الجن تعلم بعض الشيء . ثم لما تقدم الزمن قرر القرآن أنهم لا يعلمون شيئاً ٢٩ والمفسرون مخطئون حين يأخذون الأمر مأخذ الجد ٣٠ الأنبياء أبطال « ولدوا فى البيئة وتأدبوا بآدابها وخالطوا الأهل والعشيرة وقلدوهم فى كل ما يقال ويفعل وآمنوا بما تؤمن به البيئة من عقيدة ودانوا بما تدين به من رأى وعبدوا ما يعبد من إله ص ٣٧

تصوير أخلاق الأمم كبنى إسرائيل ليس بضرورى أن يكون واقعياً بل يصح أن يكون تصويراً فنياً يلاحظ الواقع النفسى أكثر من صدق القضايا ... الخ ص ٧٥

القصة هى العمل الأدبى الذى يكون نتيجة تخيل القاص لحوادث وقعت من بطل لا وجود له أو لبطل له وجود ، ولكن الحوادث التى ألمت به لم تقع أصلا أو وقعت ولكنها نظمت على أساس فنى إذ قدم بعضها وأخر بعضها أو حذف بعضها وأضيف إلى الباقى بعض آخر أو بولغ فى تصويرها إلى حد يخرج بالشخصية التاريخية عن أن تكون حقيقة إلى ما يجعلها فى عداد الأشخاص الخيالية وهذا قصدنا فى هذا البحث من الدراسة القرآنية ٨١

أخطأ الأقدمون فى عد القصص تاريخاً ٨٣

منهجه هو معالجة القصة من حيث هى أدب ويعنى بذلك خلق الصور والابتكار والاختراع (٨٤) ولذلك لا مانع من اختلاف تصوير الشخصية الواحدة فى القرآن ٨٥

وجود القصة الأسطورية فى القرآن ٨٩

ولعل قصة موسى فى الكهف لم تعتمد على أصل من واقع الحياة ٨٩ بل ابتدعت على غير أساس من التاريخ .

والقرآن عمد إلى بعض التاريخ الشعبى للعرب وأهل الكتاب ونشره نشراً يدعم غرضه ٩٣ كقصة ذى القرنين .

وقصة إبليس من نوع الخلق الفنى الذى يتشبث فيه القرآن بالواقع ١٠٦ عناصر القصة هى العناصر الفنية والأدبية التى اتخذ منها الفنان مادته التركيبية والتى أعمل فيها خياله وسلط عليها عقله ونالها بالتغيير والتبديل حتى أصبحت وكأنها مادة جديدة بما بث فيها من روحه ، وكذلك القصص فى القرآن والبحث عن المصادر فى القصص القرآنى على هذا الأساس .

يجب ألا يزعجنا لأنه الواقع العملي في حياة كل الفنون والآداب ص ١١٨ وطبق هذا المبدأ تطبيقاً واسعاً

فالقرآن كان يغير في العناصر ليجعلها ملائمة للبيئة والطبيعة الدعوة ص ١٢٥ ... وما تمسك به الباحثون من المستشرقين ليس سببه جهل محمد بالتاريخ ... بل قد يكون ذلك من عمل الفنان الذي لا يعنيه الواقع التاريخي ولا الحرص على الصدق العقلي ، وإنما يفتح عمله ويبرز صوره بما ملك من الموهبة الفنية والقدرة على الابتكار والاختراع والتغيير والتبديل » ص ١٣٦

ومن هذا القبيل خلق صور الجن والملائكة ١٣٧

تدرج القصص في القرآن كما يتدرج أدب كل أديب ، فالأدباء يلتمسون المتعة واللذة في كل أمر فني يعرض لهم ثم يتقدمون خطوة فيبغون الاستمتاع واللذة بالمحاولات الأولى التي تقوم على التقاليد والمحاكاة ثم يكون التخلف شيئاً فشيئاً والدخول في ميدان التجارب الخاصة ومظاهر ذلك النسخ والتدرج بالتشريع ١٦٩ الخ

ومن ذلك كله ترى أن المسألة — كما قلت — خطيرة ومن المتوقع أن يكون لها صدى كبير سبق أن حدث لأقل من هذا .

فالمسألة في نظري يجب أن يفصل فيها رجال الجامعة المسؤلون قبل أن يفصل فيها الأساتذة قراء الرسالة من ناحيتها التفصيلية والشكلية . وتفضلوا بقبول فائق احترامي .

أحمد أمين

الى خلف الله العاصري[1]

يا (أستاذ ..) !

لقد أغمدت سيفي ، ولويت وجهي عن الميدان ، لأنك أصبحت أعز عليّ ، من أن أجرد في وجهك سيفاً ، أو أثير عليك حرباً ، وكيف وأنت رجل خير فاضل (لست من الشر في شيء ، وإن هان) وأنت تنصف من نفسك ، وتنال منها ما لا يناله الخصم العنيد ، وتكتب عنها بقلمك ما لا يكتبه العدو اللدود ، وكيف وقد صرت أستاذي ... تعلمت منك أشياء كنت أجهلها ..

تعلمت منك كيف يكون العذر أقبح من الذنب ، حين قرأت لك ما كتبت تعتذر به من ذنبك ، وتعلمت كيف يفهم بعض (العلماء !) من الكلام ما لا تدل عليه ألفاظه ولا يفيده نظمه ، ولا يمكن أن يخطر على بال كاتبه . وكيف تبلغ (الفطنة ...) ببعض (الأذكياء ...) أن يريد أحدهم الشيء فينطق بضده ، ويعمد إلى تبرئة نفسه فيوبقها

قلت لا فض الله فمك ، وسلمك :

« والآن نستطيع أن ننتقل إلى الجو القرآني ، لنبحث ما في قصصه من أشياء تاريخية ، وقبل البدء ننظر في اعتراض قد يثار ذلك لأن ما قررناه من صلة بين التاريخ والقصة يعتمد على ظاهرات في القصص لوحظت حديثاً وقررت على أنها بعض التقاليد الأدبية التي تصور ما للقاص من حرية والقرآن أقدم من هذه اللاحظات للظواهر وهذه المقررات للتقاليد على أنها لو كانت قديمة لا تلزم القرآن في شيء إذ لكل قاص مذهبه وطريقته ولكل خالق حريته في الخلق والابتكار وان يقرر ما في القرآن من قيم إلا واقع أدبي التزمه القرآن نفسه أو على أقل تقدير حرص عليه وهو قول له وجاهته فيما نعتقد ثم هو يلزمنا أن نبحث طريقة القرآن من واقعه العملي »

انتهى بنصه وفصه ، وألفاظه وحروفه ، واحلف لقد قرأته خمس مرات متتاليات فلم أفهم المراد منه ، لأنه أرفع من أن يصل إليه فهمي ، أو يطوله علمي .

ولقد كنا في الكفر بالدين وحده ، فصرنا الآن في الكفر بالدين ، والكفر بالعربية ! أفيمثل هذا الأسلوب تريد أن تكتب عن القرآن ؟ أم هذه هي البلاغة الجديدة ، التي هبط بها الروح (الأمين) على قلب أستاذك نبي البيان في آخر الزمان .

هذا كلامك ، لا يفهمه الناس ، فهل تفهم أنت كلامهم ؟ لنرَهْ : نقلت من تفسير المنار قوله : « إن الله أنزل القرآن هدى وموعظة ، وجعل قصص الرسل فيه عبرة وتذكرة ، لا تاريخ شعوب ومدائن ، ولا تحقيق وقائع ومواقع » .

فلم تفهم منه إلا أن القرآن ليس بكتاب تاريخ ، وإذا كان يروي أخبار الماضين ، ولم يكن تاريخاً فما هو إلا قصة ، كقصص اسكندر دوماس وتوفيق الحكيم ، ودوماس لا يؤخذ من قصصه التاريخ ، لأنه لم يكتبها له ، ولم يحرص فيها على حقائقه فقصص القرآن كذلك .

---

(١) واسمه الريع الذي قال فيه الشاعر :

شهدت بأن الله حق لفاؤه وأن الريع العاصري (فهيم) !

أرأيت ؟ فلماذا تتعب نفسك فيما لم تخلق له ؟ وهل تظن أنك تفهم كلام الله ، وأنت لم تفهم كلام (عبده) ؟

***

ثم قلت : على أن هذه المسألة (أى مسألة كون قصص القرآن صحيحا أو اسطورة) قديمة — ومن أجلها عد الأصوليون القصص القرآنى من المتشابه — ولقد نتج عن ذلك طريقتان فى التفسير طريقة السلف وطريقة الخلف ، أما الأولون فيذهبون إلى أن كل ما ورد فى القصص القرآنى من أحداث قد وقع وأما الآخرون فلا يلتزمون هذا (أى لا يقولون بأن كل ما ورد فى القصص القرآنى من أحداث قد وقع) وعلى طريقتهم جرى الأستاذ الإمام »

مسكين أنت يا أيها الأستاذ الإمام ، لقد صرت عند هذا (العاصرى) إماماً فى تكذيب القرآن ، وفى الكفر بالرحمن ، ومساكين أنتم يا أيها الأصوليون ..

وكل شىء إلا الأصول من فضلك ! مالك وللاصول ؟ ولماذا تهرف بما لا تعرف حتى تطلق الألسنة بغيبتك ؟ ومن قال لك إن الأصوليين يعدون القصص من المتشابه ؟ وعبهم قالوه أفتدرى أنت ما المتشابه ؟ وفى أى كتاب رأيت هذا ؟ ومن أى عالم سمعته ؟ أو ما كان خيراً لك لو اشتغلت فيما تحسن ، وتركت لغيرك التدليل على أن قصص القرآن أساطير كأساطير هوميروس ، وروايات كروايات دوماس ، ما دام غرضك كما تقول (غرضاً دينياً هو تخليص القرآن من مطاعن الملاحدة والمستشرقين) ؟

ولا والله ، ما غرضك إلا (الشهرة ...) ، ولن أكون عوناً لك عليها بعد اليوم !

على الطنطاوى

هل كان معاوية كاتب وحى ؟

ذكرت فى كتابى (أبطال الفتح الإسلامى) فى ترجمة الإمام على كرم الله وجهه أن كتبة النبى صلى الله عليه وسلم كانوا ثلاثة وأربعين منهم أبو سفيان وابناه معاوية ويزيد وقد سرد هذه الأسماء كثير من المؤرخين كابن كثير وغيره ، ولكن ابن أبي الحديد ، ذكر فى شرحه لنهج البلاغة أن ما عليه المحققون أن معاوية بن أبى سفيان لم يكن من كتبة الوحى ، بل كان هو وربيعة التميمى لا يكتبان للنبى صلى الله عليه وسلم إلا مكاتبات الملوك ورؤساء القبائل . أما كتبة الوحى فكانوا على بن أبى طالب وزيد بن أرقم وزيد بن ثابت رضى الله تعالى عنهم »

المنصورة محمود نصير

وزارة المعارف العمومية

منطقة القاهرة الشمالية

قسم الأغذية

إعـــلان

مناقصة توريد الأغـــذية لبعض مدارس البنين والبنات الاميرية ومراكز التموين التابعة لمنطقتى القاهرة الشمالية والجنوبية ولمحافظة السويس عن سنة ٤٨/٤٧

تقبل العطاءات بمكتب حضرة صاحب العزة المدير العام لمنطقة القاهرة الشمالية التعليمية بشارع زيدان رقم ٥ بالعباسية بمصر لغاية الساعة الحادية عشر من صبيحة يوم الأربعاء الموافق ١٥ أكتوبر سنة ١٩٤٧ عن توريد الأغذية اللازمة لتلاميذ وتلميذات بعض مدارس التعليم العام والأولى والمعاهد الخ ... التابعة لمنطقتى القاهرة الشمالية والجنوبية ومحافظة السويس إبتداء من أول السنة الدراسية ٤٨/١٩٤٧ إلى آخر عطلتها الصيفية وأسماء المدارس موجودة بالكشوف بالمنطقة

والعطاءات التى تقدم باليد تسلم لحضرة رئيس قلم القيد والحفظ بالمنطقة بالايصال اللازم وذلك قبل انتهاء الميعاد المحدد وستفتح هذه العطاءات الساعة الثانية عشر من نفس يوم ١٥/١٠/٤٧ ويراعى أن يكون مظروف العطاء مختوماً بالجمع الأحمر ثم يوضع فى مظروف آخر يكتب عليه إسم مقدم العطاء ونوعه ويرفق بكل عطاء تأمين مبدئى وفقاً للشروط

ويمكن الحصول على شروط العطاء من إدارة المنطقة الشمالية مقابل دفع الثمن وقدره (٣٠٠ مليم) للنسخة الواحدة خلاف أجرة إرسالها بالبريد المسجل وقدره (١٠٠ مليم)

ويراعى عند تقديم طلب بشراء شروط العطاء أن يكون على ورقة دمغة من فئة الثلاثين مليما والعطاءات التى ترد بعد الموعد المحدد بالاعلان لا يلتفت إليها وتعتبر لاغية ٨١٠٣

قصة من الأدب الروسى :

« الحمى »

للكاتب الروسى أنطون تشيكوف

للأستاذ مصطفى جميل مرسى

١٨٦٠ — ١٩٠٤

« هذه صورة وليست قصة !.. تمتاز بألوان من الوصف الدقيق وتزخر بضروب من التصوير البارع ... يعرضها تشيكوف — ذلك الكاتب العظيم — بريشته الفنانة وقلمه الصنع ... فيبدع الوصف ويجيد التصوير وتجيء آية بينة واضحة على قدرته البيانية وقريحته الخصبة وعبقريته فى رسم المشاعر الإنسانية ، والإحساسات النفسية ...

فهو يجلو لنا صفحة رائعة شائقة من حياة مخلوق من البشر ... أصابته حمى «التيفوس» ، فخر صريعها ... وراح يعانى آلامها وبلواءها ... وأحسب أن هذا لا يتيسر إلا لمن كابد تلك الآلام ، وتقلت عليه وطأة المرض ... فاشتد تأثره به .! وأخرج لنا هذه الصورة المجلوة الحفة التى لا يداخلها باطل .. ولا تخالجها مبالغة !... »

« م جميل »

كان القطار ينساب بين الربوع فى سرعة وفى صخب ، بعد أن خلف وراءه « بتروغراد » وغايته « موسكو » ! ... وفى إحدى عرباته جلس الضابط « كليموف » وهو شاب تجلت على سيمائه آيات العناء والألم ! .

وكان رفيقه — الذى قعد مواجهاً له — رجلا طاعناً فى السن ! . حليق الذقن ... تلوح عليه دلائل الثراء والعيش الرغد . ويخيل إلى المرء أنه من أبناء « فينلندا » أو « السويد » ... لم يبرح طيلة السفرة ... يدخن « غليونه » ، وينفث هباءه فى الهواء ! ... وكان ثرثاراً مهذاراً ، نهماً إلى الحديث ، شرهاً إلى الكلام ... لا يفتأ يلفظ بهذره حول معنى واحد ... دون تنويع ولا تبديل ! ...

— « ها ! . إنك ضابط ! . كذلك لى أخ ضابط ؛ بيد أنه نوبى يجوب البحار ! . . ألا خبرنى ما الداعى لذهابك إلى « موسكو » ؟ ! . »

— « إن لى مقاماً هنالك ! ! . »

— « ها ! ! أما تزوجت بعد ؟ ! »

— « كلا ... إنى أعيش مع خالتى وأختى ! . »

« إن أخى ضابط كذلك ، غير أنه متزوج ... وقد أنجبت له امرأته ثلاثة أطفال ... ها ! ! . »

وكان الرجل الفنلندى ينظر — خلال ذلك — فى بلاهة وغرابة ... وتترسم على شفتيه ابتسامة تعبر عما يختلج فى نفسه من جزل ومرح ، حينما يهتف : « ها ! ! . »

أما كليموف — وكان يشعر بدوار وصداع فى رأسه ، ويحس بفتور ودعث فى جسده — فقد برم بالجواب على أسئلته ... وراح يحمل عليه فى قلبه إصراً وبغضاً ! ... وتراود نفسه رغبة جامحة فى أن يختطف غليونه ... ويلقى به تحت القعد ، ويأمر « الفنلندى » نفسه بالبحث عن عربة أخرى . !

وقال يحدث نفسه — وقد ضاق به ذرعاً « ما أفظع أولئك « الفنلنديين » وأبغضهم إلى النفس ! . إنهم أوغاد مذقو الخلق ، أولو خسة وذوو سفه ... لا يأتون إلا كل تافه غير محمود من الأفعال ... وما خلقوا إلا ليعوقوا العالم فحسب ! . فما أدرى مكرمة ذاعت لهم ، ولا حسنة أثرت عنهم ! . »

وزاد إحساس الضابط الشاب بما يكتنفه من وعك وكآبة وألم ! . فعلا وجهه شحوب وامتقاع ... وسرى الجفاف والظمأ إلى حلقه فلذعه لذعاً شديداً ، وضاقت رأسه — وقد ثقلت تحت وطأة الصداع — بما يضطرب فيها من أفكار سوداء تجول بخاطر معربدة صاخبة على غير هدى ... ثم لا تلبث أن تفيض على ما حوله من مقاعد وأناس يلوحون فى حلكة الظلام ! ...

ويطرق سمعه — فى عنف — خليط من الهرج والمرج ... يترامى إليه من بلبلة الأصوات وضوضاء العجلات ، وصفق الأبواب وهدير الأجراس وصفير القطار وضجيج الناس وعجيجهم فى كل محط يقف به ! .

وكان الزمن يمضى متباطئاً على مهل حيناً ، وسريعاً على عجل حيناً آخراً ... ولاح لكليموف وكأن القطار يقف كل دقيقة فى محطة ! . وتمر به القطارات الأخرى سراعاً يلاحق بعضها بعضاً بينما قطاره يتهادى فى سيره ويدوى ويجلجل ! ...

إن مسمع تلك الجلبة وذلك الصفير .. ومرأى هذا الفنلندى

وهذه الحلقات من الدخان ينفثها من غليونه فى الهواء ... كل ذلك تمازج مع الكآبة السوداء التى تعتديه فى إبهام . وتمخض عنه كابوس مخيف يجثم على صدره ، ويكاد أن يزهق أنفاسه ! .

وبينا هو فى غمرة ذلك العذاب الأليم ، ورفع رأسه المصدع ونظر من خلال عينيه الذابلتين ... إلى المصباح ! . وقد راح يرسل ضوءاً واهناً متراقصاً لا يثبت على شيء . . ويعقد الظلال ، ويشيع جواً من الرهبة والغموض ! !

وود « كليموف » لو يرفع صوته بطلب شربة ماء ... ولكن لسانه جمد ... فقد يبس ريقه رجف حلقه من حرقة الصدى ! . كما أن قوته وهت عن أن تجيب « الفنلندى » إلى ما يسأله إياه ، وتستمع إلى ما يهذى به .

فحاول أن يمدد جسده على المقعد حتى تداعب عينه سنة من النوم ... ولكن النوم أبى عليه أن يأخذ بمماقد أجفانه . وظلت تلك الكآبة القاتمة والخواطر السوداء والصور الغريبة تعبث به وتعيث من حوله ... فى حين أن ذلك « الفنلندى » نام ملأ جفونه ما حلاله النوم ، وعلا شخيره ؟ ثم أفاق من نومه وأشعل غليونه وطفق يحدث ويردد « ها ! ! . » ثم لم يلبث أن غط فى النوم من جديد ! وتحامل « كليموف » على نفسه فى « سبيروف » ونهض يسعى فى طلب الماء ! . فامتد طرفه إلى فريق من الناس يجلسون إلى مائدة حافلة بالطعام ، ويأكلون فى شراهة وعجلة ... فتمتم وهو يحاول أن ينأى بأنفه عن رائحة الشواء ويشيح بوجهه عن مرأى أولئك القوم وهم يلوكون الطعام فى أفواههم المكتظة : « كيف يأكلون ؟ ! »

ثم لمح بعد ذلك امرأة وضيئة تتحدث إلى رجل عسكرى يضع على هامته قلنسوة حمراء .. وتبتسم له ، فيفتر ثغرها عن أسنان كالدر المنظوم ... ولكن أثارت تلك الابتسامات وتلك الأسنان اللؤلؤية وتلك السيدة الوضيئة ذاتها عاصفة من السخط والحنق فى نفسه ! .

وإذا ما أدرك بغيته من الماء ! . تفل واجماً إلى مجلسه .. فألفى « الفنلندى » قد استوى على كرسيه يدخن ، فلما أبصره « الفنلندى » قال له فى شيء من العجب : « ها ! ! أى محطة هذه ؟ ! » فأجابه كليموف فى صبر نافد وقد استلقى على مقعده وضم شفتيه حتى لا يتسلل إلى حلقه دخان الغليون الحاد اللاذع : « لست أدرى ! . »

— « متى نصل إلى مدينة « تفر » ؟ ! ... »

— « لست أدرى ! وممذرة إن كنت لا أستطيع الكلام إلى مريض ضيق الصدر ! ! ... »

فطرق « الفنلندى » حافة النافذة بغليونه ! . وطفق يحدثه عن أخيه البحار فلم يعره « كليموف » أدنى التفات ولم يكترث له بل راح يفكر فى فراشه الوثير اللين ... وإبريقه البلورى ذى الماء العذب القراح ... ويتصور فى خياله أخته « كاتى » التى تعرف كيف تروض نفسه وتخلع بزته وتحنو عليه وترنو إليه ! . ثم ترسمت على شفتيه بسمة شاحبة ، حينما تذكر خادمه الجندى « بافل » وهو ينزع حذاءه الضخم فى رفق ... ويضع الماء على المنضدة فى هدوء ! ... وخيل إليه إنه ما يكاد يستلقى على سريره ويجرع بعض الماء يطفى به غلته ... حتى يزول عنه ألمه ، ويبرأ من سقمه ! ويغط فى نوم هادىء ! ...

عادت تلك الأصوات تختلط فى سمع كليموف فى هرج ومرج وراح يطرق أذنه فى عنف هدير الأجراس وصفير القطار ... وضوضاء العجلات ، وهى تنساب صاخبة على القضبان ! .

فدفن كليموف وجهه — وقد تملكه اليأس ولج عليه الألم — فى وسادة المقعد ... ثم أمسك برأسه بين يديه ... وثانية راحت تطوف بفكره خواطر عن أخته « كاتى » وخادمه « بافل » ... ولكن أخته وخادمه اختلطا — هذه المرة — فى الصور التى تهيأ له والأشباح التى تتمثل لوهمه ... ولفحت وجهه حرارة زفراته التى تردها عليه الوسادة ... وقد دفنه فيها ! .

وتسرب الوهن إلى عظامه فشقت عليه الحركة .. وتسلل من النافذة تيار هوائى بارد ، فأصاب ظهره ... بيد أنه لم يحرك ساكناً وأبى أن يغير الوضع الذى استقر عليه جسده ... ثم لم يلبث أن غاب فى سبات قلق مضطرب ، سعى إليه فغل أطرافه وأغمض أجفانه ! ! ...

فلما ثاب إلى رشده — بعد أن تقضى زمن طويل — رأى النهار بازغاً ، والشمس تبعث فى أوصال الكون ضياءها ! ...

وكان السفر يهمون بارتداء معاطفهم ، ويتهيأون لمغادرة القطار ... حتى إذا وقف فى الموضع الذى أعد له .. أسرع الحالون فى مآزرهم البيضاء ، وأرقامهم النحاسية الصفراء ... إلى الركب يحملون عنهم متاعهم وحقائبهم ...

فألقى « كليموف » معطفه على منكبيه فى حركة آلية ...

وغادر القطار !. وأحس — وهو يسير — أنه ليس هو . بل مخلوق آخر !. غريب — وأحس أن حرارة القطار ما زالت ناشبة فيه — وأنه ما برح مصحوباً بذلك الصدى فى حلقه — والأشباح من حوله — والكآبة فى نفسه — وهى التى جعلت حرمت جسده لذة الرقاد وحبست عن عينه نعمة النوم —

واستقل عربة — كانت واقفة خارج المحطة — بعد أن رضع أمتعته إلى جواره فى تلك الحركات الآلية — وتقاضاه السائق « روبلا وخمس وعشرين كوب » حتى يبلغ به دارة فى شارع « بوفارسكا » — فأذعن لما أراده عليه ، ولم يساومه وهو يعلم حقاً أن ثمت زيادة فى الأجر — بيد أن النقود لم تكن ذا قيمة لديه فى ذلك الحين ! —

فلما بلغ بيته .. تلقته خالته بالترحاب !. وقابلته أخته وهى غادة هيفاء شارفت ربيعها الأول من العمر .. فحيته بإيماءة رقيقة وهى ممسكة بقلم تخط به فى كراسة معها .. فتذكر أنها تهيأ لامتحان تنال به إجازة التدريس ..

ولكنه لم يرد تحيتها ولا أجاب على أسئلتها !. بل راح يلهث من الأنين الذى يضطرم فى صدره . وانطلق على غير هدى ولا بصيرة .. يجتاز الحجرات إلى حجرته .. فارتمى على فراشه يئم ويتأوه

وتراءت لخياله من جديد تلك الأشباح والصور التى لزمته فى القطار !. الفنلندى وغليونه .. الجندى ذى القلنسوة الحمراء !. والسيدة ذات الثنايا اللؤلؤية .. ورائحة الشواء . وضياء المصباح الواهنة .. التراقصة .!! فأفقدته صوابه وسلبته رشده وجعلته لا يبصر ما حوله ولا يسمع تلك الأصوات القلقة على مقربة منه.!

فلما أفاق من غشيته .. ألفى نفسه مضطجعاً فى فراشه .. عارى الجسد أو شبه عار !. ولمح خادمه «باقل» ، وذلك الأبريق البلورى ذا الماء المذب .. بيد أن هذا لم يخفف من حدة مرضه ، ولم يجلب عليه راحة أو سكينة ..

فما برحت أطرافه واهنة مُتيبسة يشق عليه تحريكها. ولسانه قد تشقق من جفاف .. حتى عكدته وعلاه الطلا[1] .. وراحت ترن فى مسمعه قهقهة ذلك الفنلندى وقولته : « ها !! . »

وقام إلى جوار فراشه رجل بدين عظيم الهامة ذو لحية سوداء إنه الطبيب !. ينظر إليه فى إمعان وتأمل ، ولم يلبث أن نبس فى صوت ذى فيهقة وتشدق : « حسن !. حسن .. يا صغيرى رائع .. رائع .. لقد برأت تماماً !.. »

فأثارت طريقة الطبيب فى النطق ، وضغطه مخارج الحروف حنق كليموف .. وأغضبته دعوته له بـ « يا صغيرى » ، وأسخطه ذلك التلطف البغيض الذى يبديه نحوه . فلما تمتم قائلا: « ما الذى يدعوك إلى مناداتى بـ « يا صغيرى » ؟. وما علة تلك الإلفة التى تحدثنى بها ؟. عليك اللعنة !. » راعة من صوته جرس أجش صمق !. كاد أن ينكره !!.

كان الوقت يكر فى سرعة يتزعج لها القلب ، كزمن القطار !. فقد كان ضوء النهار يغمر الغرفة ويسطع فى أرجائها .. ثم هاهى ذى عتمة المساء تخيم وتشيع فى أنحائها !. ولكن الطبيب لم يبرح الغرفة ، بل ظل فمه يتشدق بتلك الألفاظ البغيضة الثقيلة فى كل حين !.

وعاد يتراقص أمام ناظره فى فضاء الحجرة العريض صف غير ذى نهاية من الوجوه والسحن .. « باقل » .. الفنلندى .. القائد « ناروشفتش » .. والضابط « مكسيمنكو » .!. ودو القلنسوة الحمراء ... السيدة ذات الثنايا اللؤلؤية ... الطبيب المتفيهق !. كلهم يتحدثون ويلوحون بأياديهم !. ويأكلون فى نهم

ولم يلبث « كليموف » أن أبصر — فى بياض النهار الآفل — كاهن الكنيسة الأب « ألكسندر » فى مسوحة الدينية ... يقبض بين أنامله على الصليب !.. ويتمتم بصلوات وأدعية !.. وقد تجلت عليه دلائل لم يرها « كليموف » من قبل .. فشردت عن وجهه تلك الإبتسامات والضحكات التى طالما طالعته مترسمة عليه .. وتبدت عليه سيماء الرزانة والرصانة !.. وأخذ يرسم على كليموف علامة الصليب !..

وفى الليل .. كانت تتسلل حوله أشباح وظلال تغدو وتروح فى إبهام وغموض ... وكانت أخته راكعة إلى جواره !.. تردد صلاة خفية فى صمت وخشوع .!. وترفع طرفها — فى هيبة ورغبة — إلى السماء حيناً تطلب الرحمة من الله ... وإلى صورة « القديسين » أحياناً تسائلهم العطف والشفاعة ..

ما أن تنسم « كليموف » البخور والأرج — وهو يتضوع فى جو الغرفة — حتى صاح — وقد استفزه ما استقر فى بطنه « إحملوا هذا البخور اللعين بعيداً !. »

بيد أنه لم يكن ثمت من يجيبه .. وكان يترامى إلى سمعه من بعيد صوت الكهنة ، وهم يرتلون أناشيد « الوداع » .. وصدى خطوات تهرول على درجات السلم بين صعود وهبوط !. .

(١) عكدة اللسان أصله ، والطلا بياض يعلوه من مرض أو عطش . « جيل »

حينما خفت وطأة الحمى عن كليموف . وأنثنى عنه هذيانه !. كانت غرفته عاطلة من البشر .. وراحت أشعة الشمس تفيض من خلال النوافذ ، وتسيل من بين السدول والأستار !. وراح يتراقص على مياه الإبريق البلورى شعاع مرتعش من النور دقيق براق كالسيف المسلول ... وطرق سمع « كليموف » صليل العجلات وصرير العربات وهى تدرج فى الطريق، فأدرك أنه خلو من الثلوج ..

فراح يمد طرفه إلى ذلك الشعاع .. ثم يقلبه بين أثاث الغرفة ومتاعها .. ونوافذها وبابها . ولم يلبث أن راودت نفسه رغبة ملحة فى الضحك .!!. فأخذ صدره يهتز وخصره يرتج من الضحك المذب البهيج الذى راح يحتاج جسده من هامة رأسه حتى أخمص قدمه .. وهو لا يدرى لذلك سبباً سوى الشعور البالغ من السعادة والارتياح ، والاحساس السابغ من البهجة والمراح ..

وتملك كليموف شوق فائق إلى الناس والحركة والحديث ، غير أنه لم يقو على تحريك أى عضو من جسده لما يعتريه من وهن وضعف ! كان منشرح الصدر طلق المحيا لتنفسه الهادىء طيب النفس طرب الفؤاد لضحكه وبشره !. ووجود ذلك الإبريق البلورى ذى الماء المذب الفرات .. وشعاع الشمس المرتعش ، وأستار النافذة المزركشة المزينة بشتى الألوان ..

ولاح له فيما بين جدران غرفته كون فاتن رائع .. أبدع الخالق صنعه ! وحينما ولف الطبيب إلى غرفته ملك الصبيحة تمثل فى ذهنه ماهو عليه من علم وبراعة فى التشخيص ، ودماثة ورقة فى المعاملة وحسن وظرف فى المباشرة .. ما أجل الناس جميعاً !. ما ألطفهم !!

قال الطبيب « رائع !. رائع .. لقد تماثلت يا » صغيرى « للشفاء .. وكدت أن تبرأ وتعاودك عافيتك !.. »

فأصغى الضابط الشاب إلى فيهقته فى النطق .. وهو يضحك جزلا .. ثم هاجته ذكرى ذلك « الفنلندى » .. والسيدة ذات الثنايا اللؤلؤية .. والقطار .. فانقلب ضحكه إلى قهقهة ..

ثم لم يلبث أن طلب بعض الطعام والسجائر .. وقال فى إلحاف « أيها الطبيب !. دعهم يحضرون لى خبزاً وسردينا وملحاً .. » فأبى الطبيب عليه ذلك !. وصدع « باقل » بأمره .. ولم يسع فى طلب الخبز لسيده .. فطفق « كليموف » يصرخ ويصيح كالطفل حينما لا يجاب إلى بغيته .. فقال له الطبيب وهو يضحك مداعباً : « إسكت .. أيها الوليد الصغير .. » فلم يسع كليموف سوى أن يشاركه ضحكه ! ولما غادره الطبيب أغرق فى وسن هادىء عميق ... أفاق منه بعد حين ومازال هذا الإحساس المفعم بالمرح ، الفياض بالسعادة . يتملكه ويتسلط على نفسه .. وقد جلست خالته بجانب فراشه ... فابتدرها قائلا فى بهجة وبشر :

« أه .. يا خالتى !. ما الذى كنت أعانيه ؟!.. »

— « تيفوس ! ... »

— « أحسبه كذلك ! بيد أنى الآن فى تمام الصحة أين كانى ؟ »

— « ليست بالدار ! ... لعلها ذهبت لزيارة إحدى لداتها بعد فراغها من الامتحان ! . »

ومالت المرأة العجوزة — وهى تقول ذلك — نحو جوربها كأنها تبغى إصلاحه بيد أن شفتيها أخذتا ترتعدان ! . فأشاحت بوجهها بعيداً ... وبغتة راحت تجهش بالبكاء وتنشج بالنحيب . لقد نسيت فى غمرة حزنها وحسرتها ما أمرها به الطبيب ففتأت تصيح : « آه ... كانى ! كانى ! ... لقد ذهب عنا ملاكنا ... لقد رحلت ! . » وأطرقت برأسها إلى الأرض ، وهى تتأوه من البث والأسى ... فحملق كليموف فى شعرها الرمادى .. لا يحير فيها ! ما تقول ، فسألها وقد تولاه الانزعاج ... « كانى ... ولكن أين ذهبت يا خالتى ؟ ؟ ! ! . »

فأجابته العجوز بين دموعها التى راحت تنهمر على وجنتيها ، وتكاد أن تخنق صوتها : « لقد أصيبت منك بالتيفوس ! ... وماتت ! ووارياها التراب فى اليوم السابق على البارحة ! »

على الرغم من فجاءة وهول ذلك النبأ المفزع المروع ... فما استطاع « كليموف » أن يقمع تلك الغريزة الحيوانية ، التى جنحت بالضابط الناقه إلى الضحك والمرح ! فراح يصيح ويقهقه ويشتكى الجوع ... حتى إذا انقضت سبعة أيام ... اعتمد كليموف على ساعد « باقل » وخطى وئيداً حتى دنى من النافذة ... حيث قام ثمت يسرح الطرف فى مسارى الربيع الطلق الضاحك وهو ينفث فى الأرض الحياة والخضرة ! وقد علت شمس الضحى فى السماء تكالمها الغيوم والسحب . وطرق سمعه صليل العربات تخيل إليه أنه فظيع حاد!

حينئذ صدع قلبه الأسى وأمضه الكمد ... وأحس بوقع الفجيعة عليه أليما عنيفاً ... فطفق ينتحب فى وله ومرارة ويغمغم شارد اللب كاسف البال ... وقد دفن رأسه بين راحتيه ...

« كم أنا شقى ! ... يارب ... كم أنا شقى ! ... »

وودع بهجته ومرحه ... وانثنى يضطرب فيما كان يكتنفه من سآمته للحياة وضجره بالعيش . وقدضاعفتهما فداحة تلك الخسارة التى لا تعوض ! ...

(طنطا)

مصطفى جميل مرسى

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

دليل تليفونات القاهر طبعة يناير ١٩٤٨

يمكنكم أن تحجزوا الأماكن التى تختارونها الاعلان عن أعمالكم فى دليل تليفونات القاهرة الذى سيصدر فى شهر يناير سنة ١٩٤٨

والإعلان فى الدليل المذكور له مزايا خاصة إذ يتجدد كل يوم طوال مدة سريان الطبعة ويتداوله آلاف المشتركين وبه أماكن خالية تستطيعون استئجارها بأسعار زهيدة .

ولزيادة الايضاح اتصلوا : —

بقسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة — بمحطة مصر

مطبعة الرسالة